الرهبنة: حياة شكر

{١} مار إسحق السرياني	{٢} الأنبا إشعياء الإسقيطي	{٣} الأنبا برصنوفيوس
{٤} كتاب فردوس الآباء	{٥} توما الكمبيسي	{٦} القديس ثؤفان الناسك
{٧} كتاب الحرب الغير منظورة	{٨} قداسة البابا شنودة الثالث	{٩} قديسون أخرون

{١}

مار إسحق السرياني

📖 [١٦] الإيمان بربنا هو ملجأ النفس في أوقات التجارب والأحزان. والشكر بالنسبة للقلب الضعيف، هو ملاذٌ الناسك العمَّال.

ميامر مار إسحق ـ الكتاب السادس ـ الميمر الثالث ـ المئة الثانية ـ صفحة ٦٥٧

📖 شكر الذي يأخذ يُحرك الذي يعطي ليمنح مواهبَ أعظم من الأولى

📖 والذي لا يشكر على الصغار، فهو كاذب وظالم ان قال انه سوف يشكرُ على الكبار.

📖 ليست خطية بلا مغفرة إلا التي بلا توبة. ولا موهبة بلا زيادة إلا التي ينقصها الشكر. فالجاهل نصيبه صغيرٌ جداً في عينيه.

📖 تفرَّس في كل وقتٍ، في البلايا الصعبة التي يقاسيها الذين هم في شدةِ وضيقِ التمحيص، لكي تقدم الشكر اللائق عن الضيقات الصغيرة الموجودة عندك وتستطيع حينئذ ان تصبر عليها بفرح.

مرشد إنعام الله إلى الإنسان هو الشكر المتحرك في القلب على الدوام، ومرشد التجارب إلى النفس هو التذمر المتحرك في القلب بصفة دائمة، إن الله يحتمل كل ضعفات الإنسان، لكنه لا يحتمل إنساناً يتذمر دائماً دون أن يؤدبه، والنفس البعيدة من إشراق المعرفة تُوجد في هذه المعاني {أو أسيرة للتذمر}، الفم الذي يشكر دائماً يقبل البركة من الله تعالى، والقلب الذي يلازم الحمد والشكر تحل فيه النعمة.

من أقوال مار إسحق:

"ليست موهبة بلا نمو وازدياد، إلا التي ينقصها الشكر".

"من لا يشكر على القليل، فهو كاذب وظالم إن قال إنه يشكر على الكثير، والجاهل جزاؤه دائماً في عينيه صغير".

"شكر الذي يأخذ يحرك الذي يعطى، إلى بذل العطايا التي هي أعظم من الضيقات". "تأمل دائماً في البلايا الصعبة، وفي الذين هم في شدة ومذلة، وبهذا التأمل يمكنك أن تقدم الشكر إزاء البلايا الصغيرة التي تنتابك، وحينئذ تستطيع أن تصبر عليها بفرح".

"دع الصغار تنال الكبار".

"مرشد إنعام الله إلى الإنسان، هو الشكر المتحرك في القلب على الدوام، ومرشد التجارب إلى النفس هو التذمر".

"إن الله عز وجل يحمل كل ضعف من الإنسان، ولا يتحمل إنساناً يتذمر دائماً، إن أدبه". "فم يشكر دائماً إنما يقبل البركة من الله تعالى، وقلب يلازم الحمد والشكر تحل فيه النعمة".

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣



"إن من يشكر الواهب، يحثه على عطايا أعظم". "من لا يشكر على الصغيرات، فهو في شكره على الكبيرات كاذب، وظالم".

لا توجد خطيئة بدون مغفرة، إلا التي بلا توبة.

ولا عطية بدون مزيد، إلا التي بلا شكر.

حصة الجاهل صغيرة في عينيه.

تذكر أولئك الذين يمتازون عنك في الفضيلة، لترى كم أنت أقل منهم. تذكر دوماً الشدائد الصعبة التي يقاسيها أولئك، أثناء الضيق والشقاء، حتى تؤدي الشكر اللائق لله على ضيقاتك الصغيرة، والزهيدة، وتتمكن من الصبر عليها بفرح.

كتاب نسكيات مار اسحق ـ المقالة الثلاثون ـ صفحة ١١٥

{٢}

الأنبا إشعياء الإسقيطي

هذه علامة لمن يبدأ خدمة اللـه: ففي البداية يستعلن لـه منظر الفضائل، ولكنه ان لم يتعب من أجلها، فلن يصل إلى اللـه.

الويل لنا، نحن الذين لا نشكر اللـه على عطاياه لنا، وإذ نتناسى البلايا والأحزان والمحن السالفة التي نجانا منها، نُظهر أمام اللـه الكثير الإحسان أننا غير مستحقين للمعونة والنعمة الحاضرة.

وقال أيضًا أنبا إشعياء: الشكر لله في وقت التجربة، يجعل التجارب التي تعرِض لك تتقهقر. وعدم ثقتك في أن تعبك مقبولٌ لدى الله، يدبِّر معونة الله لحمايتك

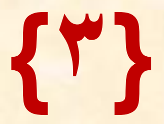
كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٠١



قال الأب إشعياء: المحبة هي اجتهاد أمام الله، مع شكره على الدوام، والله يُسَرّ بالشكر. وهذا هو علامة الراحة {في مرجع آخر: "علامة السكون وعدم الانفعال"

كتاب فردوس الآباء ـ الجزء الأول ـ صفحة ٧٠٤





القديس الأنبا برصنوفيوس

📖 أحرص يا أخي أن تكمل عملك، وتتحل من كل أمر، وتجلس بلا هم متفرغا مع الله، من أجل {مداومتك على} التسبيح والشكر، وهيء نفسك أن تكون شاكراً في كل أمر، لأن الرسول يقول هكذا: "كونوا شاكرين الله في كل حين في الأحزان، في الضيقات، في الأمراض، في الأتعاب الجسدانية" في كل الأشياء التي تأتي علينا فلنشكر الله عليها، لأن الشكر يشفع من أجل ضعفنا.

📖 إذا تعبت في عملك، أو سهل الأمر قدامك، فأشكر وصل، وأن لم يسهل فأشكر أيضا وصل، وهذا هو القول اشكروا في كل شيء، ولا تتأخر أن تقدم الشكر والصلوات لله، لأنه يجب أن تضع الله قدامك دائما، كقول النبي "وسبقت وأبصرت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أتزعزع".

📖 أوقف ذاتك لشكر الله على كل شيء، سامعا لكلمة الرسول «اشكروا في كل شيء» سواء هاجمتك محنة، أو كنت تعاني من العوز، أو الاضطهاد، أو عندك شدائد وضعفات طبيعية، اشكر الله على كل ما يأتي "أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله".

📖 فلا تدع الشك يساور نفسك، أو يضعف قلبك، بل تذكر كلمة الرسول "بل وأن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوماً"

📖 فأن كنت لا تحتمل الآلام لا تستطيع أن ترتقي {إلى} الصليب، وتشارك في ثمرته التي هي الخلاص.

📖 إننا نحتاج إلى الطعام يوميا، ولكن علينا ألا نتذوقه بلذة، أن نتناوله شاكرين الله الذي منحنا إياه، ونعتبر أنفسنا غير مستحقين له، فان الله يجعل الطعام مقدسا لنا ويصبح بركة، ونفس الطريقة أن كنت في احتياج إلى شيء وأعطى لك، اذكر الله الذي ساعدك، واعتبر نفسك غير مستحق والله سيزيل عنك كل رباطات الأوجاع.

📖 كيف يمكن لشفاهنا أن تعطي الشكر لمن خلقنا، وأعطانا المعونة ضد عدونا، وأهم كل شيء أعطى لنا فرصة للتوبة، وبذل جسده ودمه ليمحو خطايانا، ويثبت قلوبنا، يستحيل أن تكون تشكراتنا كافية له، ولكن رغم هذا فلنبذل كل ما في طاقتنا لكي نشكره بشفاهنا، وبقلوبنا بالأخص، بإحالتنا كل شيء من أجله حتى لو متنا، وفي حنانه وحبه سيقبل هذا كما قبل فلسي الأرملة.

📖 أن كثيرين عندما خفت عنهم القتالات تهاونوا بأنفسهم، لكن إذا خفت القتالات لنكثر الشكر، ونظر من أي شيء نجانا الله ونثبت في الصلاة والطلبة، لئلا نقع في تلك الأوجاع أو غيرها.

📖 **سؤال:** كيف ينبغي للإنسان أن يشكر الله كما يجب؟!

📖 **الجواب:** إن كان الناس الترابيون إذ هم تركوا لأحد ما شيئاً، أو خلصوه من حزن، يعترف بشكرهم ويذكر إحسانهم، فكم بالأكثر يجب على الذين ينالون إحسان الله في كل وقت أن يشكروا، ومن أين لنا أفواه حتى نستطيع أن نشكر كما ينبغي؟!

📖 أول شيء نشكره لأنه خلقنا، وبعد ذلك أعطانا معونة على الأعداء، وأيضاً فهم كلامه، صحة البدن، نور العينين، ونسمة الحياة، وموضع {وقت} للتوبة، أخذنا جسده ودمه لمغفرة الخطايا، الذي يشدد القلب!

📖 إن كان الناس من أجل الأمور المحسوسة البالية، يكافئون، ويشكرون من يعمل بهم، فأي شيء به نستطيع نحن أن نكافئ الله، الذي صلب من أجلنا؟!

📖 إن أردنا أن نكافئه، لنحتمل الصلب حتى الموت، فلا تتعب إرادتك لتطلب أن تنال الشكر الواجب لله من الناس، فإنك ما تبلغ ذلك، وخاصة نحن الخطاة، ولأنه مات من أجلنا!

📖 فإن كنت في حبس، وأخرجك إنسان، وحبس نفسه عنك، لحرصت

أن تكافئه، وتشكره، بما يفوق طاقتك، فكم بالأكثر الذي مات عنك! وأعلم أننا ما نبلغ أبداً إلى شكره كما يستحق، ولكن ذلك بقدر قوتنا نشكره بالفم والقلب، أما هو فلكثرة تحننه يحسب لنا ذلك، ويقبله مثل فلسي الأرملة!

📖 وهذا هو عمله من أجلنا نحن الخطاة، فأما الصديقون فقد اتعبوا أنفسهم وأماتوها من أجل شكره، كما قال بولس الرسول "أشكروا في كل شيء لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" {١تس٥:١٨}.

الأنبا برصنوفيوس - سيرته وأقواله - صفحة ١١٠ - ١١١

{٤}

كتاب فردوس الآباء

📖 **قال أبّا بطرس:** جب ألاّ ننتفخ عندما يفعل الرب شيئًا بواسطتنا، بل بالحري علينا أن نشكره، لأنه جعلنا مستحقين أن نكون مدعوين منه.

📖 وكان دائمًا يقول إنه جيدٌ أن نفكر بهذه الطريقة بخصوص كل فضيلة.

كتاب فردوس الآباء - الجزء الأول - صفحة ٧١٩

{٥}

توما الكمبيسي - الإقتداء بالمسيح

في تذكر إحسانات الله الكثيرة

📖 ١- التلميذ افتح يارب قلبي لشريعتك وعلمني أن أسلك في رسومك. هب لي أن أفهم مشيئتك، وأن أتذكر باحترام عظيم، واعتبار جدي، جميع إحساناتك العامة منها، والخاصة، علني أستطيع أن أشكرك عليها الشكر اللائق!

📖 على أنني أعلم، وأقر بعجزي، عن تأدية الشكر الواجب، وإلا لأقل أفضالك، أنا دون جميع الخيرات التي جدت بها علي، وإذ أتأمل جودك، يغشى على روحي بسبب عظمتك.

📖 ٢- كل ما لنا، في النفس والجسد، وكل ما نملك، في الداخل، أو في الخارج، من طبيعي، أو فائق الطبيعة، إنما هو من إحسانك، ويشهد أنك أنت المحسن الحنون الصالح، الذي منه نلنا جميع الخيرات.

📖 وإن نال الواحد أكثر، والآخر أقل، فكل شيء مع ذلك هو منك، وبدونك لا ينال شيء مهما كان زهيداً.

📖 فالذي نال أكثر، لا يستطيع أن يفتخر باستحقاقه، ولا أن يترفع على الآخرين، أو يعيّر من كان دونه، لأن الأعظم والأفضل، هو من لم ينسب خيرا لنفسه، بل كان أكثر تواضعاً، وعبادةً في شكره.

📖 ومن احتسب نفسه أحقر الجميع وأقلهم استحقاقا، فهو أكثرهم أهلية لنيل إحسانات أعظم.

📖 ٣- أما الذي نال أقلّ، فعليه ألا يحزن، ولا يتذمر، ولا يحسد من هو أغنى منه، بل بالحري أن ينظر اليك، ويسبّح جودك أعظم تسبيح،

📖 لأنك تفيض مواهبك مجانا، بسخاء وارتياح عظيمين، ومن غير محاباةٍ للوجوه

📖 كل شيء هو منك، ولذلك ففي كل شيء يحق لك التسبيح.

📖 أنت تعلم ما يصلح أن يعطى لكل واحد، وليس لنا نحن أن نعرف، لم الواحد نال أقل، والآخر أكثر، بل تلك المعرفة تخصك أنت، وقدّ حدد عندك استحقاق كل أحد.

📖 ٤ - لذلك أيها الرب الإله، إني أعتد إحسانا عظيما، أنني غير حاصل على كثير من المواهب، التي تستجلب في الخارج مديح الناس وإعجابهم.

فالإنسان إذا تأمل في فقره، وحقارة شخصه، عليه ليس فقط الا يكتئب، أو يحزن، أو يسترخي، بل ان ّ يتعزى، بالحريّ، ويفرح ً جدا لأنك أنت،ّ اللهم، قد اخترت لنفسك المساكين، والأذلاء، ومحتقري هذا العالم، خلاناً لك وألفاء، والشاهد بذلك رسلك أنفسهم، الذين جعلتهم رؤساء على جميع الأرض.

فإنهم سلكوا في العام من غير ملامة، فكانوا من التواضع والبساطة، والبعد عن كل مكر وغش، بحيث يفرحون حتى باحتمال الإهانات من أجل اسمك، ويعتنقون بشغف عظيم، ما يستكرهه العالم.

٥ ـ فعلى محبّك الذي عرّف إحساناتك، الا يفرح ٍ بشيء آخر، فرحه بأن ّ تتم فيه مشيئتك، ومرضاة تدبيرك الأزلي.

فبذلك وحده يجب أن يكتفي ويتعزى، بحيث يرضى بارتياح، أن يكون هو الأصغر، كما يتمنى غيره أن يكون الأعظم.

وأن يكون مطمئنا راضيا في المرتبة الأخيرة، كما في المرتبة الأولى، وان يرتاح الى الازدراء والهوان، وخمول الاسم والصيت، ارتياح الآخرين الى التسامي في المجد والعظمة لدى العالم.

فمشيئتك،ّ وحب كرامتك، يجب أن يعلوا كل شيء، وفيهما يجب أن يجد من التعزيةّ والمسرة، فوق ما يجد في جميع الإحسانات التي منحته أو ستمنحه إياها.

كتاب الإقتداء بالمسيح ـ توما الكمبيسي ـ صفحة ٢٣٨ ـ ٢٤٢



{٦}

القديس ثؤفان الناسك

أشكر على كل شيء

كل بركة نملكها، وكل عمل صالح نعمله هو من الله.

📖 فالواجب علينا إذا أن نقدم الشكر من أجل كل شيء.
📖 من أجل كل بركة نأخذها من يديه الطوباويتين، سواء البركات المنظورة، أم غير المنظورة.
📖 من أجل كل عمل صالح. ومن أجل كل جهاد صالح.
📖 ومن أجل كل نصرة نحرزها على أعداء خلاصنا، كما أوصانا الرسول بذلك "اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم" ١تس ٥:١٨.
📖 لذلك اجتهد أن تحفظ مشاعر الاعتراف بالجميل لله كما يقول القديس يوحنا فم الذهب "حاراً في قلبك، من أول لحظة تستيقظ فيها من نومك، وطول النهار، واذهب لتنام وكلمات الشكر على شفتيك، لأنك مغمور في البركات الإلهية ويعتبر النوم واحدة منها. إن الله لا يحتاج إلى شكرك ولكنك أنت معتاز إلى البركات الإلهية. ومكان أخذ وتخزين هذه البركات فيك هو قلبك المعترف بالجميل".

📖 يقول القديس يوحنا فم الذهب: أحسن طريق للمحافظة على إحسانات الله هو أن تتذكر إحسانه وتشكره باستمرار.
📖 وكتب القديس مار إسحق يقول: إذا اعترف الإنسان بالجميل، يشجع المعطى أن يمنح مواهب أعظم من الأولى.
📖 الذي لا يحمد على القليل، سيخيب أمله إن طلب الكثير.
📖 ليست موهبة بلا زيادة، إلا التي ينقصها الشكر.

📖 والقديس باسيليوس الكبير يضيف إلى هذا تحذيرات نافعة فيقول "إن لم نقدم شكرا عن البركات التي يعطيها الله، يلزم أن ينزع هذه البركات منا كي نعرف أنفسنا.
📖 كالعين التي لا تقدر أن تنظر إلى ما هو قريب إليها جدا، بل تحتاج إلى مسافة مناسبة، هكذا النفوس غير الشاكرة عندما تنزع منها البركات تنتبه إلى المراحم الأولى. وبينما لا يشكرون المعطى حينما

ينعموا بعطاياه، يحنون إلى الماضى الذي تركوه".

🕮 وإذ تعى كلامى ستسألك: كيف أثبت مشاعر الحمد في دائما؟

🕮 افحص كل احسانات الله للبشرية جميعا لجنسنا، ولك أنت ذاتك، وتفكر فيها باستمرار، واجمعها إلى ذاكرتك، وإن كان لك قلب، سوف لا تتأخر عن الشدو بشكر الله.

🕮 **انظر كيف تشكر الله:**

🕮 ستجد نماذج لهذه التسابيح في الصلوات، وفى كتابات القديسين.

🕮 اسمع كيف يصف القديس باسيليوس الكبير إحسانات الله نحونا إذ يقول: "جاء بنا من العدم إلى الوجود، خلقنا على صورته، زودنا بالعقل والنطق الذي يحوى كمال طبيعتنا. وأعطانا علم معرفته.

🕮 وكل جمال الخلائق ككتاب مفتوح أما الغيورين على معرفة الله، يبين لهم عظمته، وعنايته بكل شيء وحكمته.

🕮 والطبيعة ذاتها تعلمنا أن نختار ما هو مفيد ونتحول عما هو ضار.

🕮 وإذ قد ابتعدنا عن الله بالخطية، دعينا مرة أخرى للاشتراك معه، لنتحرر من عبودية الخطية المرة، بدم ابنه الوحيد.

🕮 وماذا بعد عن رجاء الخلاص؟ ومباهج النعيم الملائكي؟

🕮 ماذا عن ملكوت السموات، والبركات المنتظرة الموعود به،ا التي تفوق الألفاظ والإدراك". اقرأ هذه الكلمات عن احسانات الله نحونا، واختر أقوالا أخرى من أقوال الآباء.

🕮 أو ركب أنت قولا من نفسك، حاويا كل بركات الله التي أغدقها عليك أنت شخصيا. كررها دائما بالألفاظ، وفى الفكر، ليس فقط كل يوم، ولكن لمرات عديدة في اليوم، وسيكون لديك مشاعر الحمد نحو الله دائما. ولكن بمجرد أن يظهر شعور لا يحتمل أن يكون مكتوما: إنه يبحث عن ايضاح وتعبير، فكيف تعبر لله عن مشاعر حمدك له؟ إذ أحاطك ببركاته.

📖 إن الله يريدك أن تتذكره دائما، حينما يحيطك بعطاياه السخية.
📖 وماذا يريد الله؟ إذ أحاطك ببركاته.
📖 إن الله يريدك أن تتذكره دائما، حينما ترى تلك البركات لذلك تذكره. إنه يريدك أن تستسلم له بكليتك، لذلك سلم له ذاتك.
📖 إنه يريدك ألا تقاوم إرادته في أي شيء تعمله.
📖 وأن تشتاق أن ترضيه فى كل طرقك، لذلك افعل هكذا.

📖 إنه يريدك أن تعتمد عليه هو وحده، في كل الأمور، لذلك اعتمد عليه. إنه يريدك أن تتذكر المواقف الكثيرة التي أسأت فيها للمحسن إليك، بأعمالك الشريرة المخزية لكي تمتلئ ندامة وتوبة ودموع، حتى تتصلح مع ضميرك، وتأخذ تأكيدا أن الله قد صفح عنك، لذلك افعل هكذا. أما ترى اتساع مجال تقديم الشكر؟
📖 وتعدد الوسائل لتكميل هذا الواجب؟
📖 اعرف من هذا كيف أن خطية المتهاونين فيه كبيرة.
📖 واحذر أن تتلوث ذاتك بهذه الخطية.
📖 إذا كان الجحود بين الناس يدعى ظلما، فأى كلمة نجدها للجحود لله. لذلك احترس دائما، واحتفظ بشاعر الحمد لله حارة في نفسك باستمرار، لاسيما في الكنيسة أثناء القداس، عندما ترفع الذبيحة غير الدموية، التي تدعى القربان ... لأن التناول سمى أيضاً سر الشكر.
📖 ولا تنسى هنا أن الشكر الوحيد المستحق أن تقدمه لله، هو استعدادك الكامل أن تقدم ذاتك، وكل ما تملك ذبيحة لمجد اسمه القدوس.

كتاب المحاربات الروحية - الجزء الرابع - صفحة ٢٦ - ٣٠

{٧}
كتاب الحرب اللامنظورة

الفصل الخامس: في رفع الشكر للـه

📖 إن كل بركة نمتلكها، وكل عمل حسن نعملـه، هـو مـن اللــه، ومـن عنده يأتي. لذا فالواجب يقضي أن نرفع الشكر عن كل شـيء، ومـن أجل كل بركة نأخذها من يديه الطاهرتين.

📖 سواء البركات المنظورة، أم غير المنظورة.

📖 من أجل كل عمل حسن، ومن أجل كل جهاد حسن.

📖 ومن أجل كل نصرة تصير لنـا ضـد أعداء خلاصنا، كمـا أوصـانا الرسول: "اشكروا في كل شيء، لأن هذه هي مشيئة اللـه في المسـيح يسوع من جهتكم" "١تس٥: ١٨".

📖 لذا اجتهد في أن تصون مشاعر الاعتراف بالجميل حـارة وملتهبـة فيك منذ أن تستيقظ. وعندما تخلد إلى النوم، فلتكن كلمات الشكر على شفتيك، فأنت مغمور بالبركات الإلهية.

📖 اللـه لا يحتاج إلـى شـكرك، إلا أنـك فـي عـوز كبيـر إلـى البركـات الإلهيـة. إن مجـال اقتبـال هـذه البركـات هـو فـي القلـب المعتـرف بالجميل. ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم: إن خيـر السـبل للمحـافظـة على إحسانات اللـه، هو أن تتذكر إحساناته، وتشكره من أجلها علـى الـدوام. وقـد كتـب القـديس إسـحاق السـرياني يقـول: "إن الاعتـراف بالجميل يحث المعطي على تقديم عطايا أكبر من الأولى.

📖 لأن من لا يشكر علـى القليـل، سـييأس عنـدما يطلـب الكثيـر. لـيس هناك عطية تخلو من الزيادة والوفرة، إلا التي يعوزها الشكر".

📖 ويضيف القديس باسيليوس الكبير إلى ذلـك تنبيهـات نافعـة، فيقـول: "إن لم نرفع للـه شكراً على البركات التي يمنحها، فالواجب يقض أن ينزعها منا، حتى نعرف ما نحن فيه.

📖 فالعين التي لا تقوى على النظر إلى أمـر قريـب منهـا، تحتـاج إلـى مسـافة ملائمـة. هكـذا النفـوس غيـر الشـكورة، فعنـدما تنـزع عنهـا

البركات الإلهية، تنتبه متذكرة المراحم السالفة. والذين لا يشكرون الوهَّاب عندما ينعمون ببهائه، سيشتاقون إلى ماضي العز الذي أضاعوه".

🕮 وإذ تدرك كلامي وتفهمه، فإنك ستسأل: كيف أجعل مشاعر الشكر فيَّ على الدوام؟ دقق في كل إحسانات الله للناس، لذريتنا، لك أنت، وتأمل فيها، واحفظها في ذاكرتك، وإن كنت صاحب قلب، فلن تتوانى عن الترتيل لله بشكر، وستجد إن أردت، نماذج لمثل هذا التسبيح في صلاتك، وفي أعمال القديسين.

🕮 أنظر كيف يصف القديس باسيليوس الكبير عطايا الله إلينا: "لقد جاء بنا من العدم إلى الوجود. خلقنا على صورته ومثاله، وحبانا عقلاً ونطقاً تحوي كمال طبيعتنا. زوَّدنا بإمكانية معرفته، وقدَّم لنا جمال الخلائق، نحن المجاهدين من أجل معرفته.

🕮 بيَّن لنا عظمته وعنايته بكل شيء، بمنتهى الحكمة.

🕮 الطبيعة أيضاً تعلِّمنا أن نختار المفيد، ونحجم عما هو مؤذٍ.

🕮 ولما ابتعدنا عن الله بالخطيئة، دعانا للاشتراك في حياته، وأعتقنا من العبودية المرة بدم ابنه الوحيد.

🕮 ماذا عن رجاء الخلاص، وأفراح النعيم، وملكوت السماوات، والخيرات الموعود بها التي تفوق الوصف والإدراك؟"

🕮 طالع أمور إحسانات الله إلينا، واختر أخرى من أعمال القديسين.

🕮 أو بادر أنت نفسك إلى صياغة قول يحوي بركات الله التي سكبها عليك. ردِّدها على الدوام بالقول والفكر، ليس لمرة في اليوم، بل لمرات، وسوف تبلغ مشاعر الشكر الواجبة لله.

🕮 وعندما يبرز هذا الشعور، فإنه لا يرغب أن يبقى مكتوماً، فهو يبحث عن تعبير، فكيف ستعبر لله عن شكرك له؟

🕮 إنه يريدك أن تعمل ما يرضيه عندما يحيطك ببركاته.

ماذا يريد اللـه عندما يسكب عليك بركاته؟، يريدك أن تتذكَّرُه.

إنه يريدك أن تلتصق به وتحبه.

إنه يفرح بطاعتك لوصاياه، فتجاهد كي ترضيه في كل سبيل.

هو يريدك أن تعتمد عليه في كل شيء. لذا افعل ذلك.

إنه يريدك أن تتذكر المناسبات العديدة التي فيها أسأت إلى المحسن إليك، بأعمالك الشريرة، فتمتلئ انسحاقاً وتتوب وتبكي، حتى تأتي إلى سلام مع ضميرك، وتتلقى الضمانة بأن اللـه قد غفر لك. لذا افعل هذا.

أما ترى اتساع مجال الشكر، وكثرة الوسائل لإتمام هذا الواجب؟

اعلم أن خطيئة المتهاونين عظيمة، وانتبه ألا تلطِّخ نفسك بها.

نكران الجميل بين الناس هو ظلام، أية كلمة تستطيع أن تعبِّر عن نكران الجميل هذا؟ لذا انتبه، واحتفظ بمشاعر الحمد والشكر حارة فيك على الدوام، لاسيما عندما تكون في الكنيسة أثناء الذبيحة الإلهية، وحينما ترفع الذبيحة غير الدموية التي تدعى المناولة، إلى اللـه.

المناولة هي الإفخارستيا وتعني الشكر، ولا تنسى هنا الشكر الوحيد واللائق الذي يمكنك أن ترفعه، هو استعدادك الكامل لبذل ذاتك، وكل ما تملك، من أجل مجد اسمه القدوس.

كتاب الحرب اللامنظورة ـ القديس نيقوديم الاثوسي ـ صفحة ـ ٢٤١ ـ ٢٤٢



{٨}

قداسة البابا شنودة الثالث

{١} حياة الشكر	{٢} كتاب حياة الشكر ـ كـامـل	

{١}

حياة الشكر

📖 نحن على أبواب عام جديد، جعله الله عامًا سعيدًا. فماذا ترانا سنقول لله فيه؟ اعتاد الناس أن يطلبوا ما يريدون. وليس في هذا خطأ. إنما الخطأ في أن قليلين هم الذين يشكرون على إحسانات الله السابقة. أو إن شكروا، يكون شكرهم ضئيلًا، إلى جوار طلبهم. فيطغي الطلب على الشكر.

📖 وقديمًا قال أحد الآباء الروحيين: "ليست موهبة بلا زيادة، إلا التي بلا شكر". لذلك أود في هذا المقال أن أركز على موضوع الشكر، حتى يكون عنصرًا بارزًا في صلواتنا، في ليلة رأس السنة. لأنه من المخجل أننا نطلب في كل مرة طلبات جديدة، دون أن نشكر على العطايا السابقة.

كتاب معالم الطريق الروحي - الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر - من صفحة ١٩٧

📖 {١} ماذا تعلمنا الكنيسة عن حياة الشكر؟

📖 إن الكنيسة المقدسة تعلمنا أن نشكر على أشياء، قد لا يخطر ببالنا أن نشكر عليها، ولكن كتب الصلوات تذكرنا بها. فنحن نقول في صلاة الغروب: "نشكرك يا ملكنا المتحنن، لأنك منحتنا أن نعبر هذا اليوم بسلام، وأتيت بنا إلى المساء شاكرين، وجعلتنا مستحقين أن ننظر النور إلى المساء". ما هذا الحساسية العجيبة في الشكر.

📖 وبالمثل تعلمنا أن نقول في صلاة باكر: "نشكرك يا ملك الدهور، لأنك أجزتنا هذا الليل بسلام، وأتيت بنا إلى مبدأ النهار". إننا نشكر الله على كل دقيقة نحياها. إنها هبة من الله، فرصة وهبها لنا لنعمل فيها خيرًا.

📖 بل إن مجرد وقوفنا للصلاة، أمر نشكر الله عليه، لأنه وهبنا أن نتحدث إليه، ومنحنا النعمة التي ننحل بها من اهتمامات الدنيا، لنقف أمامه، وبخاصة في الأوقات المقدسة.

📖 وهكذا تعلمنا الكنيسة أن نقول في صلاة الساعة الثالثة: نشكرك لأنك اقمتنا للصلاة في هذه الساعة المقدسة، التي فيها أفضت روحك القدوس". وعبارة: "أقمتنا" هنا، تعني أننا نشعر بأن نعمة هي التي دفعتنا إلى الصلاة، وساعدتنا على اتمامها، وليست هي فقط اتجاهات أرادتنا، التي ربما لو تركت لذاتها ما كنا نصلي.

📖 **بل الكنيسة تعلمنا أن نبدأ كل صلاة بالشكر:**

📖 ليس فقط في صلاة الأجبية، بل أيضًا صلاة القداس الإلهي، وصلوات جميع أسرار الكنيسة. بل حتى في حالة الوفاة، حينما نصلى على الذين رقدوا، وفارقوا عالمنا، مع شدة حبنا لهم، نبدأ صلاتنا بالشكر أيضًا. ونقول في صلاة الشكر: "على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال".

📖 إنها صلاة تدخل في حياة التسليم، وفي الشعور بأن: "كل الأشياء تعمل معًا للخير، للذين يحبون الرب" {رو٨: ٢٨}. ولعل هذه العبارة مأخوذة من قول الكتاب: "شاكرين في كل حين، على كل شيء" {أف٥: ٢٠}.

📖 إنها درس لمن يحيون حياة التذمر، أو عدم الرضى، ساخطين على أمور كثيرة، بينما يمكن في حياة الإيمان أن نشكر على كل شيء، قائلين نشكر مهما حدث لنا، كله للخير.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر ـ من صفحة ١٩٨ ـ ١٩٩

📖 **{٢} أشياء كثيرة نشكر عليها:**

📖 اشكر على إحسانات الله إليك، وإلى أحبائك، ومعارفك، واحسانات الله إلى الكنيسة كلها، وإلى كل المجتمع الذي تعيش فيه. ولا شك أنك ستجد نقطًا بيضاء كثيرة تحتاج إلى شكر. وعلى الأقل، من الآن اجلس إلى نفسك، وحاول أن تتذكر بالتفاصيل كل ما صنعه الله من أجلك، ومن أجل أحبائك.

📖 ليس فقط في العام المنتهي هذا، وإنما فيما سبقته من أعوام، بل

حياتك كلها. اشكر الله لأنه لم يعاملك بحسب معاملتك له، ولم يجازك على كثير من الخطايا التي تعرفها عن نفسك، بل على العكس، سترك، وأعانك، وفتح لك بيته، ومنحك من أسراره.

🕮 لا تظن أن شكرك لله هو خاص فقط، بما صنعه معك من معجزات، بل الشكر يشمل كل شيء، هناك تفاصيل دقيقة في حياتك تحتاج إلى الشكر، وقد لا تلتفت إليها.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر ـ من صفحة ١٩٨ ـ ١٩٩

🕮 {٣} نشكر الله على النعم والضيقات:

🕮 غالبية الناس يشكرون على النعم فقط. وقليلون هم الذين يشكرون في الضيقات. إنما يشكر في الضيقة، القلب الواسع الذي لا يضيق بالضيقة. ويشكر فيها من يحب الله، لا يمكن أن يتذمر على شيء سمح به، بل يثق بصلاحه، وعنايته، ورعايته، ويشعر أن الضيقة لابد تنتهي بخير.

🕮 **أعلى من الشكر في الضيقة، الشكر على الضيقة.**

🕮 الشكر في الضيقة يدخل في فضيلة الاحتمال، أو فضيلة التسليم، شاعرين أنها ضيقة، ولكن نشكر عليها. لأنه إن كان الله قد رضي بها لنا، فلماذا لا نرضى بها لأنفسنا؟ أما الشكر على الضيقة، فمعناها محبة الضيقات، والشعور بأنها بركة، وليست ضيقة.

🕮 ومثال ذلك التلاميذ: الذين لما حبسوهم، وجلدوهم، ثم أطلقوهم: "خرجوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل اسمه" {أع٥: ٤١}. ومن أمثلة هذا قول القديس يعقوب الرسول: "احسبوه كل فرح يا أخوتي، حينما تقعون في تجارب متنوعة" {يع١: ٢}.

🕮 **طبيعي أن الذي يشكر على الضيقات، لا بُد يشكر على النعم.**

🕮 وهنا نسأل: أتراك تشكر على كل نعم الله؟ أم أن هناك نعمًا من الله

خفيت عليكن فلم تشكر عليها، أو نسيتها فلم تذكرها؟

📖 ما أكثر إحسانات الله إليك التي لا تعرفها! إنك ربما تشكر لأن الله نجاك من ضيقة معينة تعرفها، ولكن هناك ضيقات أخري كانت في طريقها إليك، ومنعها الله.

📖 ربما دسائس كانت مدبرة ضدك، وأنت لا تدري، ومنعها الله فلم تحدث، وأنت لا تدري، وهذه لا تشكر عليها، عن عدم معرفة.

📖 ربما خطية زاحفة إليك لتسقطك، ومنعها الله من الوصول إليك. ربما شيطان كان سيغريك ليفني إيمانك، وانتهره الرب، فلم يأت إليك إطلاقًا. وأنت لا تدري، ولا تشكر.

📖 إن الله كما أمرنا أن نعمل الخير في الخفاء، هو أيضًا يفعل خيرًا لأجلنا في الخفاء. والخير العلني الذي يعمله معنا، إنما لكي يشعرنا بمحبته، فنحبه، لأنه أحبنا قبلًا، لذلك مهما شكرنا الله، لا يمكننا أن نوفيه حقه من الشكر. يكفي أنه جعلنا هياكل لروحه القدوس. وسمح لروحه أن يسكن فينا ويعمل فينا {١كو٣: ١٦؛ ١كو٦: ١٩}.

📖 يكفي أنه سمح أن يكون لنا أبًا، ونكون نحن أبناء. هذا الأمر الذي قاله عنه القديس يوحنا الرسول: "انظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعي أولاد الله" {١يو٣: ١}.

📖 إذن ليتنا نشكر على كل شيء: على النعم الروحية، وعلى النعم المادية. على النعم التي نراها، والتي لا نراها.

📖 **ونشكر على الضيقة أيضًا، لأن الضيقة هي أيضًا نعمة.**

📖 ربما تقول لنفسك: "أشكرك يا رب من أعماق قلبي، على هذا المرض، لأنه قرَّبني إليك. جعلني أعود إلى صلواتي، وجعلني أحاسب نفسي، وألومها على خطاياها. وأشكرك على المرض، من أجل محبة الكثيرين التي تحيطني بها في مرضي.

📖 أشكرك أيضًا على هذا المرض. لأنه أعطاني فرصة أخلو بك فيها،

ولأنه أعطاني بركة الألم، وأشعرني بتقصيري السابق في زيارة المرضي. بل أعطاني بالأكثر الاستعداد لأبديتي.

📖 حقًا ما أكثر بركات هذا المرض. وما أحق أن أشكر عليه.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر ـ من صفحة ١٩٩ ـ ٢٠١

📖 {٤} عقبات أمام الشكر:

📖 ١- أحيانًا لا نشكر، لأننا ننظر إلى النقط المضيئة فى حياتنا، بل نركز في المتاعب وحدها. تركيزنا في المتاعب، يجلب لنا الحزن، والقلق، والتذمر، والتشاؤم. وكل هذا لا يعطي طبعًا أي مجال للشكر.

📖 وأنا أريدكم أن تبدأوا عامكم الجديد بفرح، وبشاشة، لذلك تذكروا كل الأشياء المفرحة التي مرت بكم، واشكروا عليها.

📖 ٢- ونحن أحيانًا لا نشكر لأننا ننسب الأشياء المفرحة في حياتنا، لغير الله. إذا نجحنا ننسب ذلك إلى ذكائنا، أو إلى مجهود مدرسينا، أو إلى سهولة الامتحان. وتختفي معونة الله في كل ذلك.

📖 وكذلك إن شفينا ننسب ذلك إلى الأطباء. وإن وفقنا في عملنا، ننسب ذلك إلى قدراتنا وكفاءتنا. وإن نجونا من حادثة، نرجع ذلك إلى مهارة السائق. وبالتالي يختفي الله من أسباب أفراحنا، فلا نشكره على شيء.

📖 ٣- وأحيانًا لا نشكر على شيء، إلا إذا فقدناه، أو حرمنا منه، لا نحس بالنعمة التي نحن فيها، إلا إذا ضاعت منا، فلا نشكر الله على وجود الوالدين، ولا نشعر ببركاتهما، إلا إذا توفي أحدهما.

📖 ولا نشكر على ما نحن فيه من صحة، ولا نعرف قيمتها، إلا إذا مرضنا. بل لا نشعر ببركة وجود النور في الحجرة، إلا إذا انقطع التيار الكهربائي.

📖 **٤- وأحيانًا لا نشكر، لأن الأمر أصغر من أن نشكر عليه.**

📖 أو هكذا نراه. هنا نتذكر قول أحد الآباء الروحيين: "الذي لا يشكر على القليل، كاذب هو إن قال إنه يشكر على الكثير".

📖 أو من الجائز أنه أمر طبيعي، أو عادي، لا يستحق الشكر!

📖 ولماذا لا نشكر الله على الطبيعة الجميلة؟ لماذا لا نشكره على الجو إن كان صحوًا؟ هل ننتظر إلى أن يكفهر الجو، ثم نشعر أننا فقدنا شيئًا؟ وهنا وأقول في عوائق الشكر.

📖 **٥- إننا كثيرًا ما نفرح بالنعمة. ونكتفي بالفرح دون أن نشكر.**

📖 نفرح بالخير الذي نحن فيه، دون أن نشكر على هذا الخير. كتلميذ يفرح بنجاحه، أو فتاة تفرح بخطوبتها، أو موظف يفرح بترقيته، دون أن يتقدم أحد هؤلاء بالشكر إلى الله.

📖 إن الله ليس محتاجًا إلى شكرنا، ولكننا نحن نحتاج إلى ذلك. لماذا؟

📖 إننا بالشكر، نتذكر إحسانات الله إلينا، ومحبته لنا، فتزداد رابطتنا به عمقًا ونحبه، وهذا مفيد لنا روحيًا.

📖 كذلك ندل بهذا الشكر على نقاوة قلوبنا، لأن عدم الشكر فيه عدم عرفان بالجميل، وعدم تقدير من أحبنا.

📖 **٦- وأحيانًا نحن لا نشكر، لأننا لم نتعود ذلك في حياتنا.**

📖 إن كنا لا نشكر أخوتنا البشر على خدماتهم لنا، فطبيعي إننا قد لا نشكر الله أيضًا. وكما قال الرسول: "إن كنت لا تحب أخاك الذي تراه، فكيف تحب الله الذي لا تراه؟ {١يو٤: ٢٠}.

📖 ونفس الكلام نقوله عن الشكر. لذلك عود نفسك أن تشكر غيرك على كل أمر يعمله من أجلك، مهما كان ضئيلًا، ثم بعد ذلك قل في داخل نفسك: "أشكرك يا رب لأنك أرسلت لي من يساعدني، ومنحت هذا الإنسان قدرة على أن يخدمني".

📖 وهكذا تشكر الله والناس في نفس الوقت. تشكر أخاك الإنسان لأنه كان العامل المباشر المرئي. وتشكر الله لأنه مهد كل هذا بطريقة

غير مرئية لك.



٧- وأحيانًا نحن لا نشكر، بسبب أنانيتنا.

لا نفكر إلا في ذاتنا، فإن أخذت، تكون قد اكتفيت، ولا تفكر في اليد التي أعطتك. كإنسان جائع، يوضع أمامه طعام، فيأخذ في التهامه، دون أن يفكر فيمن قدمه له، أو في شكره على ذلك.

كذلك نحن ننشغل بذواتنا في أخذها، دون أن نتطلع إلى وجه المعطي. كإنسان فتح له الله أبواب الرزق، فتراه ينشغل بالرزق، وبجمعه، ويكويمه، وإنمائه، ولا يتفرغ ولو لحظة لكي يشكر من وهبه الرزق.

٨- ونحب العطية: وننسي المُعطي، وننسي الشكر، ولو دربنا أنفسنا على الشكر، لكان هذا التدريب يحفر في ذاكرتنا أشياء لا ننساها: منها إن كل خير نعيش فيه هو عطية من الله: الحياة، والصحة، والعمل، والمال، وكل شيء.

ومادام هو عطية إذن فلنشكر معطيها.

٩- وأحيانًا لا نشكر، بحجة أن ما نشكر عليه هو من الأمور الذاتية الشخصية. وهنا نخلط بين الذات، والمواهب.

فأنت تفكر حسنًا، ولا تشكر على موهبة التفكير، التي وهبك الله أيضًا، حقًا منحك الذكاء، والفهم. ولكنك لا تقول مع المرتل: "مبارك الله الذي أفهمني". لا تظن أن الذكاء شيء ذاتي. إنه موهبة من الله، تحتاج إلى شكر. وكذلك موهبة أخري كالشعر، والموسيقى، والجمال، والقوة. وكذلك كل حياتك الروحية.

١٠- وأحيانًا لا نشكر، لأننا لا ندرك حكمة الله.

أمور كثيرة تمر بنا، ولا نشكر عليها، بل على العكس قد نتضايق منها، أو نتذمر بسببها. وكل ذلك لا ندرك حكمة الله فيها. ولو

أدركناها لشكرنا الله كثيرًا. العيب فينا إذن. لنا عيون ولكنها لا تبصر الخير في كل ما يمر بنا من أحداث، ومن أمور.

🕮 إن بيع يوسف الصديق وإلقاءه في السجن، كان وراءه خير، ربما لم يره يوسف في ذلك الحين، ولم يشر بع إلا بعد أن تم.

🕮 ١١- وأحيانًا نحن لا نشكر على خير، بسبب المقارنة!

🕮 لا نشكر على ما أعطانا الله، لأننا نرى أن غيرنا عنده أكثر منا، أو ما هو أفضل. أو لأن غيرنا أخذ مثلنا، وهو لا يستحق.

🕮 مثال ذلك: موظف في شركة يتقاضى مرتبًا ما كان يحلم به، وهو أضعاف أضعاف مرتبات بعض زملائه، في وظائف عادية. ومع ذلك تراه لا يشكر الشركة، لأن بعض موظفيها يأخذون مرتبات أكثر منه! وبالتالي لا يشكر الله.

🕮 قارن نفسك بمن هو أقل منك، فتشكر الله. ولا تقارن نفسك بمن هو أعلى، لئلا تتذمر. كإنسان مليونير لا يشكر الله، لأن هناك من هو أكثر منه الملايين، كلما قارن نفسه به، يتضايق، ويشعر أن ما عنده قليل وتافه، ولا يستحق الشكر إطلاقا.

🕮 وهذا يقودنا إلى نقطة متشابهة وهي:

🕮 ١٢- هناك من لا يشكر، بسبب الطموح:

🕮 باستمرار له تطلعات أعلى من مستواه، وله رغبات أكثر مما في يديه، وكلما اتجه إلى هذا الطموح، استصغر ما عنده، واصبح لا يشكر عليه. والطموح في حدود الاعتدال، وفي عدم شهوة العالم، ليس هو خطية ولكن. ولكن الطموح لا يمنع الشكر.

🕮 اشكر الله على ما معك، فيعطيك أكثر. كذلك لا يجوز أن الطموح يجعلك تحتقر ما وهبك الله إياه. فإن كنت تطمح أن تكون أستاذًا في الجامعة، فليس معنى هذا أنك لا تشكر الله، الذي جعلك في هيئة

التدريس، وساعدك على الوصول إلى درجة أستاذ مساعد.

🕮 كثيرون هم ضحايا الطموح الخاطئ، وبسببه ينسون إحسانات الله، ويعيشون في حزن وتذمر!

🕮 أما الطموح الروحي فليس له ضحايا، إن عاش أصحابه في حياة الاتضاع شاكرين الله، وراغبين في الامتلاء من حبه.

🕮 ١٣- وأحيانًا البعض لا يشكر، لأن من طباعة التذمر، أو الجشع، أو محبة العالم. وهؤلاء يعيشون في الخطية، وليست لهم صلة بالله، ولا يعترفون بفضله عليهم. إنما كل همهم هو متعة العالم.

🕮 وكما قال الكتاب: "كل الأنهار تجري إلى البحر. والبحر ليس بملآن" {جا١: ٧}. افرح بما في يديك، واشكر الله. ولا تقل: ملء يدي لا يكفى. أريد أيضًا امتلاء جيوبي وخزانتي! لأن الطمع، يمنع الشكر بلا شك، وإن لم يتعود الإنسان حياة القناعة، فمن الصعب عليه أن يصل إلى حياة الشكر.

🕮 ١٤- وأحيانًا يكون عدم الشكر، بسبب ضعف الحياة الروحية كلها.

🕮 فهذا الإنسان لا يشكر الله مثلًا، لأنه لا علاقة له بالله إطلاقا، فلا يشكر، كما أنه لا صلاة، ولا قراءة كتاب، ولا حضور اجتماعات روحية، ولا شركة مع الله في شيء. ويحتاج هؤلاء إلى أن يدخلوا في الحياة مع الله. وحينئذ، حينما يشكرون الله الذي أعطاها فضل معرفته، سيشكرونه على باقي الأمور.

كتاب معالم الطريق الروحي - الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر - من صفحة ٢٠١ - ٢٠٦

🕮 {٥} فضائل تتعلق بالشكر:

🕮 إن الفضائل يرتبط بعضها بالبعض الآخر، كما أن الخطايا ترتبط ببعضها البعض.

🕮 فالشكر يرتبط بالقناعة. والذين يعيشون في القناعة دائمًا يشكرون.

🕮 والشكر يرتبط بالتواضع. فالإنسان المتواضع يشعر أنه لا يستحق

شيئًا، لذلك يشكر على كل شيء، مهما كان قليلًا.

🕮 والشكر يرتبط بالإيمان. فالإنسان بالإيمان يثق أن الله حافظ، ومعين ومحب. وأنه يحول كل شيء إلى خير. لذلك يشكر على كل شيء.

🕮 والشكر يرتبط بالفرح والسلام. إنهما وليدان له. فكلما يشكر يمتلئ قلبه سلامًا، وفرحًا. وكذلك إن كان في قلبه سلام، وفرح، فحينئذ سيشكر.

🕮 والإنسان الشاكر، بالشكر ينجو من أمراض، ومشاكل كثيرة تحيط بالمتذمرين، غير الشاكرين. فلنبدأ هذا العام بالشكر. وليكن عامًا سعيدًا لنا، ولكنيستنا، ووطننا. وكل عام وجميعكم بخير.

كتاب معالم الطريق الروحي ـ الفصل الحادي عشر: حياة التسليم وحياة الشكر ـ من صفحة ٢٠٦



كتاب حياة الشكر كامل

قداسة البابا شنودة الثالث

{١}

حياة الشكر

🕮 الذي يحيا حياة الشكر، هو إنسان نبيل، يشكر الجميل، ولا ينساه.
🕮 لا ينسى مطلقًا أي خير قدم إليه، ويعبر عن ذلك بعبارات من الشكر. فالشكر في قلبه، وعلى لسانه، لله وللناس.
🕮 ولقد طوب السيد المسيح الرجل السامري – وكان واحدًا من عشرة شفاهم من البرص. ولكنه كان الوحيد الذي رجع إلى الرب: وخر على وجهه عند رجليه شاكرا فأجاب الرب وقال: " أليس العشرة قد طهروا؟ فأين التسعة؟! ألم يوجد من يرجع ليعطى مجدا لله، غير هذا الغريب الجنس؟!" {لو ١٧: ١٥-١٨}.

🕮 إذن فأنت حينما تشكر، إنما تعطى مجدا لله، معترفا بإحساناته إليك.
🕮 فان كان الله صنع معك الخير، عن طريق أحد من الناس. فأنت تشكر الله، وأيضا تشكر هذا الإنسان، لأنه كان واسطة طيبة، في وصول خير الله إليك.
🕮 غالبية الناس يشكرون الله في صباح كل يوم، وفي آخره، وفي مناسبات مثل رأس السنة، والأعياد، وعلى أسباب هامة في حياتهم، ولكن حياة الشكر لها خواص تميزها، لعل في مقدمتها قول الرسول:

{٢}
الشكر كل حين

🕮 {شاكرين في كل حين، على كل شيء} {أف ٥: ٢٠}.
🕮 إذن شكرنا لله ليس له مناسبات محددة، وإنما هو: {في كل حين} ومادام هو كل حين، إذن هو يشمل الحياة كلها، وتنطبق عليها عبارة: {حياة الشكر}.
🕮 ومثل هذا التعليم شرحه القديس بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي. فقال: {افرحوا كل حين. صلوا بلا انقطاع. اشكروا في كل شيء} {١تس ٥: ١٦-١٨}.



من أجل هذا صلاة الشكر، تتقدم كل صلاة:

كل طقس من طقوس الكنيسة، وكل قداس، يبدأ بصلاة الشكر. وقد وضعت لنا الكنيسة المقدسة صلاة الشكر في بدء كل صلاة من الصلوات السبع {في الأجبية} سواء كانت بالنهار، أم بالليل. وهكذا نشكر الرب كل حين. عشية وباكر ووقت الظهر.

وأيضا نقول مع المرتل في المزمور: {في نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك} {مز ١١٩}.

وبالإضافة إلى صلاة الشكر العامة، نقدم شكرا في تحاليل الساعات: ففي تحليل صلاة باكر نقول: {نشكرك يا ملك الدهور، لأنك أجزتنا هذا الليل بسلام. وأتيت بنا إلى مبدأ النهار} إننا نشكره على حفظه لنا سالمين خلال الليل، ومنحه لنا يوم جديدا في الحياة.

وفى تحليل الساعة الثالثة نقول: {نشكرك لأنك أقمتنا للصلاة في هذه الساعة المقدسة التي فيها أفضت نعمة روحك القدوس بغنى على التلاميذ، خواصك القديسين ورسلك المكرمين الطوباويين، مثل ألسنة نار} ونحن نشكره لأنه منحنا أن نصلى في هذه الساعة، إنها نعمة منه ونعمة.

وهذا ما نقوله في تحليل الساعة السادسة: {نشكرك يا ملكنا ضابط الكل ونمجدك. لأنك جعلت آلام ابنك الوحيد أوقات عزاء وصلاة}.

وفى تحليل الغروب نقول له: {نشكرك يا مليكنا المتحنن، لأنك منحتنا أن نعبر هذا اليوم بسلام، وأتيت بنا إلى المساء شاكرين. وجعلتنا مستحقين أن ننظر النور إلى المساء} إن كل ساعة تمر بنا بخير، نشكر الله عليها. إذن هو شكر باستمرار، سواء في مقدمة كل صلاة، أو في المناسبات.



{٣}

الشكر على كل شيء

📖 بل أن الكنيسة تبدأ بصلاة الشكر، حتى عندما تصلى في جناز على شخص أنتقل من هذه الحياة، أيضًا تبدأ بالشكر. يقول الرسول: {وكل ما عملتم بقول، أو بفعل، فاعملوا الكل باسم الرب شاكرين الله} {كو ٣: ١٧} أي في كل عمل شاكرين الله.

📖 وفي صلاة الشكر نقول: "نشكرك على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال". إذن ليس هو فقط كل حين، وإنما أيضًا على كل شيء. ذلك لأن الله يعمل معنا الخير باستمرار، وقد قال الرسول: {كل الأشياء تعمل معا للخير، للذين يحبون الله} {رو ٨: ٢٨}، سواء في ذلك الخير الواضح، أو الأمور التي تبدو وكأنها ليست الخير، ولكنها خير ونحن لا ندرى!

📖 **لذلك وُصِف الله بأنه صانع الخيرات.**

📖 إنه لا يصنع إلا خيرًا، ولذلك فالإنسان المؤمن بصفة الله هذه، يقبل كل ما يأتي من عند الله بفرح، ويقول في إيمان: {كله للخير}. ويشكر الله، وتظهر له الأيام فيما بعد، أن هذا الأمر الذي يشك البعض في خيريته، كان للخير فعلا ... إن تصرفات الناس حيالنا: إن كانت خيرًا، ستصل إلينا خيرًا. ولكن إن لم تكن خيرًا، يحولها الله إلى خير، وتصل إلينا خيرًا في النهاية.

📖 أخوة يوسف الصديق باعوه كعبد. وكان تصرفهم شرا في ذاته، وخيانة، وعدم محبة، وقسوة، وحسدا. ولكن الله حول ذلك الشر إلى خير، فصار يوسف: {أبا لفرعون وسيدا لكل بيته} والثاني في المملكة. وكان بقاؤه في مصر: {لاستبقاء حياة} وهو نفسه قال لأخوته: {أنتم قصدتم لي شرا، أما الله فقصد به خيرًا، ليحيى شعبا كثيرًا} {تك ٥٠: ٢٠}.



🕮 **أولاد الله دائمًا فرحون، يشكرون على كل شيء.**

🕮 وحينما يشكرونه، لا يفعلون ذلك كمجرد طاعة لوصية: {اشكروا} كأمر مفروض عليهم!! كلا، فليس هذا هو الشكر الحقيقي. وليس الشكر هو مجرد ألفاظ تقال بدون اقتناع، كأداء لواجب. بل يشكرون الله من كل القلب، وبكل الثقة.

🕮 فهم واثقون تمامًا وبكل تأكيد، أن الله لا يسمح بأن يحدث لهم سوى الخير، وأنه كضابط للكل يرقب كل الأمور الحادثة لهم، ويأخذ منها موقفا لصالحهم. لذلك هم يشكرونه على كل ما يحدث -أيًا كان- واثقين أنه لخيرهم. ولهذا ترتبط حياة الشكر بحياة الإيمان، كما سنرى عند حديثنا عن الفضائل المتعلقة بالشكر.

🕮 والإنسان قد يشكر الله بالكلام، وقد يقدم له ذبائح الشكر، وذبائح سلامة {لا ٣} أو يقدم له نذورًا. وكما قال داود النبي: {كأس الخلاص أخذ، وباسم الرب أدعو. أوفى نذوري قدام كل شعبه} {مز١١٦}.

{٤}

درجات من الشكر

🕮 والشكر في حياة أبناء الله على درجات:

🕮 أقلها هو الشكر على المعجزات، والمواهب الفائقة، والنعم العظيمة، وعلى الخيرات الوافرة والواضحة، التي لا يشك أحد في خيريتها، وفي عظم نفعها.

🕮 وربما في غير ذلك قد لا يشكر البعض! وقد تمر عليهم النعم البسيطة مرورا عابرا. وخيرات أخرى قد يرونها طبيعية وعادية، ولا تحتاج إلى شكر!

🕮 **وهناك شكر أعلى قيمة، وهو الشكر على القليل:**

🕮 قد يكون مستوى عاديا في حياة الشكر، أن يشكر إنسان على شفاء مريض، من داء خطير كالسرطان مثلاً. ولكن إن شكر على الشفاء من دور زكام أو برد، فانه يدل على أنه متعود في حياته على الشكر، سواء على الكثير أو القليل.

🕮 **إننا إن شكرنا على القليل، يقيمنا الله على الكثير.**

🕮 ولعله من فوائد الشكر، استمرار النعم وزيادتها. وفي هذا قال أحد الآباء: {ليست موهبة بلا زيادة، إلا التي بلا شكر}.

🕮 **هناك أيضًا شكر على الخفيات، على ما لا يُرى.**

🕮 شكر من أجل الحروب والمتاعب، التي كان ممكنا أن تصل إلينا، ولم تصل. وذلك بسبب حفظ الله وعنايته. وشكر على عمل الله في رعايتنا والعناية بنا، وان كنا لا نرى ذلك، ولكننا نؤمن به تماما.

🕮 لا شك أن الشيطان يبذل قصارى جهده من أجل ضررنا وإسقاطنا. فان كنا الآن بخير، فذلك لأن الله قد منع الضرر عنا، الضرر الذي لا نعرفه. ونحن نشكر الله على هذا الحفظ.

🕮 طبيعي أننا نشكر الله على الضيقات التي أنقذنا منها. ولكن هناك ضيقات أوقفها في الطريق قبل أن تصل إلينا. إننا لا نعرفها، ولكن نشكر الله على حفظه لنا منها.

🕮 **شكرنا على إنقاذه لنا من الضيقة، هذا أمر نراه.**

🕮 أما الشكر على حفظنا من الضيقة، فهو شكر على ما لا نراه.

🕮 صدقوني، لو كشف الله لنا المصائب التي كنا معرضين لها، وحمانا الله منها، وأبعدها عنا، لو كشف لنا ذلك، ما كانت حياتنا كلها تكفى للشكر.

🕮 إننا نشكر على الأمور الخفية، التي هي في علم الله، والتي قد يسمح الله فنعرفها بعد حين، في وقتها، أو قد لا نعرفها على الإطلاق.

📖 في كل ذلك يكون الشكر ممزوجا بالحب.

📖 **درجة أخرى: وهي الشكر كل حين على كل شيء.**

📖 وفيها حياة الإنسان تكون كلها شكرا، على كل حال يعيش فيه، وقد شرحنا هذا الأمر. والشكر الدائم لا يحتاج إلى سبب واضح محدد، وما أكثر الأسباب. ولكن يكفى أننا في رعاية الله، وأننا أبناء له، أيا كانت حالتنا. ويرتبط هذا الشعور بحياة التسليم.

📖 ولا يتوقف شكرنا مطلقًا على نوعية الحال الذي نحن فيه.

{٥}

الشكر على الضيق

📖 **أعلى درجة في الشكر هي: الشكر على الضيقات.**

📖 إننا نشكر الله على الضيقات التي أنقذنا منها، وهذه أقل الأنواع.

📖 ولكن الأعظم من هذا أن نشكره أيضًا على الضيقات القائمة، التي مازلنا نعيش فيها، ونحتملها.

📖 وبالإيمان نثق أنها لخيرنا، فنشكره عليها.

📖 إن الصبر على الضيقة واحتمالها فضيلة. والرضى بالضيقة وقبولها فضيلة أكبر. وأعظم من كل هذا، الشكر على الضيقة. الشكر بفرح، وليس كمجرد واجب.

📖 صدقوني، إننا إن شكرنا على النعم فقط، يكون حبنا هو للنعم، وليس لله معطيها! أما إن شكرنا الله حتى على الضيقة، فإنما نبرهن على أننا نحب الله ذاته، وليس عطاياه.

📖 أي لسنا نحب منه ما يهبه من سعة، ورحابة، ورفاهية، وخيرات، أو ما يهبه من هدوء، وسلام، أن الله وحده هو الهدف، سواء منحنا ضيقة، أم خيرات. نشكره على كل حال، وفي كل حال.

📖 إننا نشكره مهما حدث. ولا نسمح للأحداث المؤلمة، أن تقلل إيماننا بحفظ الله، أو تقلل شكرنا له. ولا نسمح لهذه الأحداث أن تنزع سلامنا منا، أو فرحنا بالرب. إننا نفرح في الرب كل حين، أيا كانت الظروف الخارجية، ونعيش في سلام مع الله والناس، في كل الظروف.

📖 **وهذا الشكر وهذا الفرح، له تأثيره على الآخرين.**

📖 فحينما يرون شكرنا على الضيقة، وهدوءنا وفرحنا، يتعزون.

📖 نعم، حينما يرون سلامنا القلبي وشكرنا، يتعزون بهذه المبادئ الروحية التي قدمها الإنجيل، بل نكون قدوة لهم بحياتنا وتصرفنا، إذ قال الروح أن من ثمر الروح: {محبة، وفرح، وسلام} {غل ٥: ٢٢} فمن توجد فيه هذه الثمار، فليشكر الله.

📖 **الضيقات أيضًا تحتاج إلى الشكر، لأنها تقوى الروحيات.**

📖 إنها تمنح الإنسان عمقا في الصلاة، وعمقا في الصلة بالله، وعمقا في الصوم، وفي الإيمان، وتعطى الكنيسة قوة ووحدة، وتلم شملها، وترفع قلوب أبنائها إلى الله.

📖 وربما ضيقة شديدة، تقود الإنسان إلى حياة التوبة، أكثر من مائة عظة، وأكثر من قراءة كتب روحية عديدة.

📖 **وفى الضيقات نرى يد الله تعمل.**

📖 إنها ترينا الله وعمله، وتدخله في حياتنا، وحمايته لنا.

📖 وترينا قوة الله، وحلول الله العجيبة، وتعطينا خبرات روحية، ما كنا نصل إليها بدون الضيقة، كما أنها تغربل الكنيسة، وتفصل الزوان عن الحنطة. كل هذه الأسباب وغيرها نحن نشكر الله على الضيقة، ونرى فيها بركة.

📖 وطبيعي أن الذي يصل إلى الشكر على الضيقة، سيشكر على كل

شيء آخر. هكذا يعيش حياة الشكر الدائم، ولا يتذمر مطلقًا.

{٦}
ضيقات تستحق الشكر

📖 آباؤنا الرسل لما سجنوهم وجلدوهم: يقول الكتاب أنهم بعد أن أطلقوهم: {ذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه} {أع ١٥: ٤١}. وهكذا إن آباءنا الرسل حسبوا كل تلك الآلام، والإهانات، بركة لا يستحقونها.

📖 **ذلك لأن الضيقات هي شركة في آلام المسيح:**

📖 يقول الكتاب في ذلك {لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجله} {فى ١:٢٩}.

📖 إذن فالآلام هبة. ومادامت هبة، لماذا لا نفرح بها ونشكر عليها؟!

📖 قال القديس بولس الرسول: {لأعرفه، وقوة قيامته، وشركة آلامه، متشبها بموته} {فى ٣: ١٠} هذه هي شركة الآلام التي فرح الآباء الرسل بأن يكون مستأهلين لها.

📖 إن الشخص الروحي، إذا وهبه الرب صليبا ليحمله، يفرح بهذا الصليب، ويشكر عليه، لأنه شركة في آلام المسيح.

📖 وهو يشكر على الضيقة، تمامًا، كما يشكو على النعمة، لأن الضيقة نعمة. الكثيرون يركزون على ما في الضيقات من آلام وتعب، لذلك تضغطهم هذه الآلام وتتعبهم، أما الروحيون فأنهم يتأملون في شيء آخر، وهو: لماذا سمح الله المحب بهذه الضيقات؟ لا بُد أن وراءها خيرًا، وبركة. إن كنا لا نرى هذا الخير الآن، فعدم رؤيتنا لا تمنع وجوده. بالإيمان نراه، وان كنا بالعيان لا نراه.

{٧}

درسًا من ضيقات يونان النبي

📖 **لنأخذ درسًا من بعض أحزان وضيقات يونان النبي:**

📖 يونان بلعه الحوت. أكان يشكر على هذا؟ نعم. لأن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي خلصته من الغرق في البحر، وأوصلته للقيام برسالته في المناداة لنينوى.

📖 ويونان حزن لما ذبلت اليقطينة التي كانت تظلل عليه: ولو امتد بنظره الروحي إلى قدام، لرأى أن ذبولها كان المقدمة إلى صلحه مع الله. وهذا أمر يجب أن يشكر عليه.

📖 **وأنطونيوس الكبير مات والده. أكان هذا مدعاة للشكر؟!**

📖 أي ابن يمكن أن يشكر على موت أبيه؟!

📖 فان كان أنطونيوس ليس مناسبا له أن يشكر على ذلك، فنحن الذين نشكر. لأن موت هذا الأب، جعل هذا الشاب القديس يتأمل في تفاهة الحياة الأرضية، وكانت هذه هي أول دافع له على الرهبنة، فأسس لنا هذا الطقس الملائكي.

📖 وذلك أنه نظر إلى جثمان أبيه، وقال له: {أين عظمتك، وقوتك، وغناك؟ لقد خرجت من هذا العالم على الرغم منك. ولكنني سأخرج منه بإرادتي، قبل أن يخرجونني كارها}. وهكذا ترك العالم، وصار أبا لجميع الرهبان.

📖 يوحنا الحبيب كان منفيا في جزيرة بطمس. أترانا نشكر الله على هذا؟ نعم بلا شك. لأن الضيقة رفعت روحه إلى الرب، فكان: {في الروح} {رؤ ١: ١٠}. وفي هذا المنفى، رأى السماء مفتوحة، ورأى عرش الله، والقوات السمائية من حوله، ورأى ما لا بُد أن يكون بعد حين، وكتب لنا سفر الرؤيا المملوء عمقا.

📖 **لا شك أن منفى يوحنا، كان أسعد أيام حياته.**
📖 وكان أمرًا يستحق الشكر. المهم أننا لا يكون نظرنا قاصرًا على حدود الضيقة، بل نمتد إلى ما وراءها، لنرى الخير العظيم الذي يقصده {الله} منها. ولابد أن وراءها خيرًا، وبركة.

📖 **فان لم نشكر على الضيقة ذاتها، نشكر على الخير المقصود منها:**
📖 إن أهل العالم قد يفقدون مشاعر الشكر، عندما يقعون في أحزان، ومتاعب متنوعة. وان طلبت من أحدهم أن يشكر الله، يقول لك في تذمر وتعجب: {على أي شيء أشكر؟! ها أنت ترى الهم الذي أنا فيه}. أما أولاد الله القديسون، فلا تتعبهم كل هذه الأمور. فلماذا؟
📖 لأنه لا يتعبهم سوى الانفصال عن الله. فما داموا ملتصقين به، يكفيهم هذا لحياة الشكر الدائم. فهم يشكرونه في كل حال، في الفقر وفي الغنى، في الضيق وفي السعة، في المرض وفي الصحة، على الموت وعلى الحياة، إنهم دائمًا يشكرون، لأنهم في كل ذلك لم يفقدوا هدفهم الوحيد، وهو الالتصاق بالله.
📖 تراهم دائما فرحين ومتهللين، يقول كل منهم: {لو ضاع منى كل شيء، وبقى لي الله وحده، فهذا يكفيني، وأشكر الله عليه}. ذلك لأن الله هو لي الكل في الكل. فماذا يحزنني؟!

📖 يقول بولس الرسول: {لذلك اسر بالضعفات، والشتائم، والضرورات، والاضطهادات، والضيقات لأجل المسيح} {٢كو ١٢: ١٠} ولماذا يسر؟ لأن الضيقات تجعله قريبا من الله أكثر. وفيما هو في هذا الضعف، تحل عليه قوة الله، لتحميه فيقوى بالأكثر. لذلك قال بعدها مباشرة: {لأني حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوى}.

📖 كما أن الضيقات تسبب له الأكاليل، إن أحتملها بشكر.
📖 الإنسان الروحي إن إصابته يقول: لولا أن وراءها خيرا، ما كان

الله قد سمح بها؟ لذلك يجب أن يرضى بها.

{٨}
الشكر بلا حدود

📖 لو عاش الإنسان حياة الشكر الحقيقية، لكان يشكر الله على كل نفس يتنفسه، وعلى كل خطوة يخطوها، وعلى كل عمل يعمله، وعلى كل ما يأتي عليه. ولا يرى أن هناك شيئًا إلا ويستحق الشكر، من تدابير الله معه. ويقول عن كل ما يحدث له {كله للخير}.

{٩}
مجالات الشكر

📖 هناك أسباب كثيرة يجب أن نشكر الله عليها، أو هي مجال للشكر. ولكننا نادرًا ما نشكر! وبعضها يبدو لنا كأنه مجرد أمور عادية.

📖 وهناك أمور أخرى ربما كل تأثيرها علينا، أننا نفرح بها. ولكننا نكتفي بالفرح، ولا نشكر.

📖 وأمور ثالثة يكون واضحًا جدًا عمل الله فيها، وكرمه، وإحسانه، ولكننا نشكر إلى لحظة، ولا يستمر معنا الشكر أكثر من ذلك، أي أنها لم تستوف حقها من الشكر! وسنحاول في هذا الفصل أن نستعرض بعض مجالات الشكر، ونذكر لها أمثلة:

📖 **١- أشكر الله لأنه خلقك، وأنعم عليك بالوجود:**

📖 حقا من منا يشكر الله على أنه خلقه، ومنحه هذا الوجود؟!

📖 كان ممكنا يا أخي أنك لا تكون موجودا. لم يكن الله مطالبا أن يزيد العالم واحدًا! اشكر الله أن والدتك لم تكن عاقرًا، بل منحها الله نعمة

أن تلد بنين. إن مجرد ولادتك نعمة عظيمة من الله، إذ يقال في المزمور: {البنون ميراث من الرب} {مز ١٢٧: ٣}.

📖 وكان ممكنا ألا يعطى والدك هذا الميراث! أو أن ينجبا أخوتك فقط، ولا ينجباك أنت بالذات. فاشكر الله إذن أنه خلقك، وسمح بوجودك.

📖 وفى هذا المعنى ما أجمل تلك القطعة التي وردت في القداس الغريغوري، والتي يقول فيها الأب الكاهن، مناجيا الرب في شكر: {خلقتني إنسانا كمحب للبشر. ولم تكن أنت محتاجا إلى عبوديتي، بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك. من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتني إذ لم أكن}.

📖 ٢- اشكر الله على الطبيعة التي حولك:

📖 ألا يليق بنا جميعا أن نشكر الله، لأنه خلق الإنسان في اليوم السادس، وأعد كل شيء لراحته قبل خلقه.

📖 فخلق قبل ذلك السماء، وزينها بالشمس، والقمر، والنجوم، وأوجد النور، والضياء، وأعد كل قوانين الفلك، التي تربط علاقات الطبيعة في هذا الكون العجيب.

📖 ونظم الأمور الخاصة بالهواء، والحرارة، والأمطار.

📖 كما خلق النبات، والحيوان، والكائنات الحية الأخرى، سواء على الأرض، أو في الجو، أو في البحر، وأوجد للإنسان طعامه قبل أن يخلقه. بل خلق له متعا من جمال الطبيعة، من جمال الورود، والأزهار، وتغريد البلابل، والأطيار، وجمال الحدائق، والأزهار.

📖 **وبعد أن أعد الله كل سبل الراحة، خلق الإنسان.**

📖 فمن من الناس يشكر الله على هذه الطبيعة، في كفايتها وفي تنوعها وفي جمالها؟! إن الكنيسة المقدسة تعطينا هذا التدريب الروحي، في الصلاة الشاكرة، العارفة بالجميل، التي يقول فيها الأب الكاهن في القداس الغريغوري: {أقمت السماء لي سقفا، وثبت

لي الأرض كي أمشى عليها، من أجلى ألجمت البحر. من أجلى أخضعت طبيعة الحيوان. لم تدعني معوزًا شيئًا من أعمال كرامتك}

📖 **٣- اشكر الله على المواهب الطبيعية التي منحك إياها:**

📖 كثيرون لا يشكرون إلا على المواهب الفائقة للطبيعة، مثل شفاء المرضى، وإقامة الموتى، والكشف الروحي، والرؤى! ولكن من من الناس يشكر على مواهب الحكمة، والمعرفة، بينما وضعت هذه المواهب أولا قبل مواهب الشفاء، وعمل القوات، والعجائب {١كو ١٢: ٨ -١٠}.

📖 هل تشكر الله مثلًا على ما وهبك من العقل، أو الذكاء، أو الخيال؟

📖 وهل تشكره أنه أعطاك مثلًا موهبة في الرَّسْم، أو في الشِّعر، أو في الموسيقى؟ أو أنه أعطاك رخامة في الصوت، أو جمالًا في الوجه، أو قدرة على الإقناع، أو خِفة في الروح تحبب الناس فيك؟ أو أنه وهبك قدرة على الاحتمال والصبر؟

📖 كلها مواهب من الله تحتاج إلى شُكر عليها.

{١٠}
مجالات أخرى للشكر

📖 **٤- هل تشكر الله على الإيمان الذي أنت فيه؟**

📖 هل تشكره على أنك ولدت مؤمنا، ولم تبذل أي مجهود لكي تصل إلى هذا الإيمان؟! ذلك لأن كثيرين يشتهون هذا الإيمان، ولا يجدونه.

📖 بل ويتعبون من أجله كثيرا، ولا يستطيعون الوصول إليه، إذ تقف أمامهم كثير من المشاكل العقائدية، ومن المتاعب، والمشاكل العائلية، والاجتماعية، وغير الاجتماعية. أما أنت فقد نلت هذا الإيمان مجانا وسهلا، إذ قد ولدت فيه، وفي هذه العقيدة.

📖 ألا يستحق منك هذا الأمر شكرًا؟!

📖 سمعت قصة عن فيلسوف ملحد، رأى فلاحًا أميًا يصلي.

📖 وتعجب كيف أن هذا الرجل البسيط راكع في حقله، يخاطب من لا يراه. ويخاطبه من كل قلبه، وبكل مشاعره، وبكل ثقة وإيمان. فقال: إنني مستعد أن أتنازل عن كل فلسفتي، وكل ما قد درسته من علم وكتب، ومقابل أن أحظى بشيء من الإيمان، الذي يتمتع به هذا الفلاح البسيط.

📖 **إن إيمانك نعمة، لم تحظ بها البلاد الملحدة.**

📖 ولم يحظ بها الملحدون في البلاد المؤمنة. أولئك الذين أتعبتهم أفكار قرأوها في الكتب، أو سمعوها من آخرين، جاءتهم من بعض الكتب الفلسفية، أو بعض كتب العلم، أو بعض كتب الملحدين، أو من حروب الشياطين، وغرست فيها شكوكا دخلت إلى أذهانهم، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا منها، أو لم يجدوا من يرد عليهم، ردودا تقنعهم.

📖 طبعا لكل هذه الشكوك ردود، ولكنهم لم يصلوا إليها. أما أنت ففي إيمانك لا يوجد ما يتعبك. أليس هذا أمرا يحتاج إلى شكر؟!

📖 تشكر الله أيضًا ليس فقط على إيمانك، بل بالأكثر على أن إيمانك سليم. ذلك لأن كثيرين انحرف إيمانهم، بسبب اختلاطهم بأفكار مذاهب أخرى، سواء بسبب اجتماعهم، أو كتبهم، أو نبذاتهم، وأصبح إيمان هؤلاء ليس كما كان من قبل، بل تغير في معتقداته! ودخل فيهم روح الجدل لإثبات أفكارهم الجديدة! أما أنت فاشكر الله ،أنك تحيا في إيمان سليم، بعيد عن الشكوك العقائدية.

📖 **٥- اشكر الله على أنك مازلت حيًّا:**

📖 وهذا يوافق ما ورد في صلاة الشكر، أننا نشكر الله لأنه: "أتى بنا إلى هذه الساعة" إن حياتك يا أخي منحة من الله، بيده أن يبقيها، أو

أن ينهيها في أي وقت. وهو يجددها لك يوما بيوم وساعة بساعة.

🕮 فلتشكره على هذا اليوم الذي تحياه، وهذه الفرصة التي منحك إياها، لتحسن فيها مستواك الروحي، وتفعل خيرًا تجده هناك في العالم الآخر.

🕮 أشكره لأنه أعطاك بهذه الحياة فرصة للتوبة:

🕮 قال أحد الكتاب إن: {ملايين الملايين من الذين في الجحيم، يشتهون ساعة واحدة من الحياة على الأرض} أو حتى دقيقة واحدة، ليقدموا فيها توبة لله، ولا يجدون. يريدون وقتًا مهما كان قصيرًا، يقدمون لله فيه اعترافا كاملا بخطاياهم، وانسحاق قلب، طالبين مغفرته وصفحه. دقيقة واحدة يقولون فيها عبارة العشار: {ارحمني يا رب فإني خاطئ} {لو ١٨: ١٣} أو عبارة اللص اليمين: {اذكرني يا رب} {لو ٢٣: ٤٢}. لو أن الله قرر أن يأخذ روحك الآن، ألا تشتهى بعض دقائق من هذا العمر الذي لك؟!

🕮 تقول له بعض دقائق يا رب، أوزع فيها كل ما أملك على الفقراء، وكل مقتنياتي وترفى، لأكنز بها كنزا في السماء {متى ٦: ١٩، ٢٠} بعض دقائق يا رب، أتصالح فيها مع جميع الذين أخاصمهم، وأعتذر لهم، وأقدم لهم مطانيات عند أرجلهم، مهما كانوا المخطئين.

🕮 نعم بعض دقائق اعترف فيها بجميع خطاياي بالتفصيل، حتى بما أخجل منه، حتى يما يقف على لساني، ولا يستطيع أن أنطق به. أقوله بدون حرج، وآخذ عنه حلا، قبل أن يغلق الباب وأقف خارجًا، قارعا مثل الخمس العذارى الجاهلات {متى ٢٥: ١٠-١٢}.

🕮 نعم لماذا لا تشكر الله على هذه الحياة التي لك؟

🕮 لماذا لا تشكره على هذه الأيام التي مازلت لك من العمر، وتستطيع أن تعمل فيها الكثير مما يرضى الرب، ومما يسعد الناس، وتكسب

بذلك ملكوت السموات، إذ تتوب وتحيا حياة روحية!

📖 ألا تشكر الله إلا إذا وجدت كنزًا من المال، أو حصلت على منصب كبير؟! وما أدراك، ربما هذا الكنز، أو هذا المنصب الكبير، يكون في هلاكك، وتفقد الملكوت بسببه!!

📖 **٦- أشكر الله أيضًا، لأنه هيأ لك بيئة دينية:**

📖 أشكره لأنه وهبك أبوين أهتما بعمادك، وعلماك طريق الرب، أو على الأقل لم يمنعاك عن السير في طريقه، أشكره لأنه هيا لك خداما في الكنيسة يعتنون بك، حتى وصلت إلى هذا الوضع من المعرفة الروحية، والسلوك الروحي، وأصبحت تهتم بخلاصك، وتقرأ الكتب الروحية. أشكره لأنه أرسل قدوات صالحة إلى طريقك، تتعلم منها الحياة الحقة كيف تكون، وعين لك من يرشدك روحيًا.

📖 **أشكره لأنك الآن موجود في الكنيسة:**

📖 كثير من الشبان الآن، وفي هذه اللحظة، موجودون في أماكن اللهو المختلفة، ولأهون عن خلاص نفوسهم، ومنشغلون بخطايا متعددة. أما أنتم فاشكروا الله أنكم في الكنيسة، وأن الكنيسة أصبحت جزءا من حياتكم، لا يمكنكم الاستغناء عنها.

📖 ولولا نعمة الرب عليكم ما كنتم هكذا. فمن منكم يشكر الله الآن، لأنه الله قد أحتضنه في بيته، وأدخله موضع سكناه؟

📖 أشكر الله أيضًا لأنه لا توجد عوائق تمنعك عن بيته، ولا عن الاندماج في الشركة مع أولاده. كثيرون تعوقهم ظروف متعددة عن المجيء إلى الكنيسة: أما أن مواعيد عملهم تتعارض مع مواعيد الكنيسة، أو أن حالتهم الصحية، أو الجسدية تمنعهم، أو أن كثرة أسفارهم شغلتهم، أو أنهم في قرية لا توجد فيها كنيسة، أو لأي سبب آخر. أما أنت فاشكر الله لأنه لا يوجد أمامك شيء من هذه

الموانع كلها.

📖 **وأشكره لأن اندماجك مع أبنائه يمنحك قوة روحية.**

📖 ذلك لأنهم يدفعونك باستمرار إلى قدام، وتجد معهم بيئة مقدسة، تتبادل فيها الأحاديث الروحية. كما أن سيرتهم تسبب لك خجلًا إن تصرفت أي تصرف خاطئ.

📖 وصلتك بهم تقوى رابطتك بالكنيسة، ربما فيها من أنشطة واجتماعات. كما تجد في مجالهم صداقات روحية نقية تشبع عواطفك. وكما قال الكتاب: {اثنان خير من واحد، لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع، إذ ليس ثان ليقيمه} {جا ٤: ٩، ١٠}.

📖 **أليس حقا إذن أن تشكر الله على صداقاتك الروحية.**

📖 كل صديق روحي، هو كنز لك من الله، تشكره عليه.

📖 وبنفس الوضع الأب الروحي، والمرشد الروحي، وكل من يسندك في حياتك الروحية، وكل من تجد في عشرته جوًا روحيًا، يمكن أن تنمو فيه روحك. أشكر الله على الأشخاص الذين وضعهم في طريقك، واستفدت منهم، انه هو الذي أرسلهم إليك.

{١١}

من مجالات الشكر

📖 **٧- نشكر الله أيضًا، لأنه لم يعاملنا بحسب خطايانا.**

📖 وهذا ما ذكره داود النبي في المزمور {١٠٣} الذي بدأه بقوله: {باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب، ولا تنسى كل إحساناته}.

📖 إلى أن قال: {الرب رحيم، ورؤوف، طويل الروح، وكثير الرحمة.

لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السموات على الأرض، قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب، ابعد عنا معاصينا، كما يترأف الأب على البنين، يترأف الرب على خائفيه. لأنه يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن} {مز ١٠٣: ٨-١٤}. وهكذا نصرخ للرب في صلواتنا قائلين: {كرحمتك يا رب، ولا كخطايانا} والعجيب أن الله يفعل ما هو أكثر:

📖 **فلا يكتفي بعدم معاقبتنا، إنما أيضًا يصنع معنا إحسانًا!**

📖 كم من مرة ونحن في عمق الخطايا نطلبه فيستجيب، بكل حب، كأننا لم نخطئ إليه، ولم نكسر وصاياه! انه يخجلنا بمحبته، وحنانه، ونسيانه للإساءة، ومقابلتها بالإحسان!

📖 ألا نشكره كثيرا من أجل كل هذا؟!

📖 إن الذي يتأمل خطاياه، وكم هي بشعة، يتعجب من حنو الله في تعامله معه، كيف أنه يطيل أناته عليه، ولا يطبق عليه ما تستحقه هذه الخطايا من عقوبة، أمام العدل الإلهي. كم من خطايا تبدو أبسط من خطاياك بكثير، نالت عقوبات شديدة جدا. والأمثلة عديدة ومتنوعة:

📖 حنانيا وسفيرا، كذبا على بطرس الرسول، في إخفاء جزء من المال، فكانت النتيجة أنهما وقعا ميتين للتو، دون أن تعطى لهما حتى فرصة للتوبة. ومع ذلك: كم من أناس يكذبون مرارًا كل يوم، وقد يكذبون على كهنة، ورؤساء كهنة. والله صابر لا يعاقبهم.

📖 راجع نفسك في هذه النقطة، وأشكر الله.

📖 والسيد المسيح يقول: "من قال لأخيه يا أحمق، يكون مستحقا نار جهنم" {متى ٥: ٢٢}. وكم من مرة نقول هذه العبارة، أو ما يشابهها في المعنى. ثم نعترف بالخطأ، ويغفر لنا الله، ولا تلحقنا نار جهنم.

📖 هيرودس الملك مجده الناس، وقالوا: {هذا صوت اله، وليس صوت إنسان} وسكت: {ففي الحال ضربه ملاك الرب، لأنه لم يعط مجدا لله. فصار يأكله الدود ومات} {أع ١٢: ٢٢، ٢٣}.

📖 ونحن كم يمجدنا الناس أحيانًا ونسكت، ولا يعاقبنا الله بشيء، ألا نشكر الله على عدم معاقبته؟!

📖 زكريا الكاهن مجرد أنه استصعب أن يكون له ولد وهو شيخ، عاقبه الله بأن بقي صامتا تسعة أشهر، حتى ولد الصبي.

📖 ونحن ألا نخطئ كل يوم خطايا أكثر من زكريا الكاهن، ومع ذلك فلا عقوبة! ألا نشكر الله إذن على أنه لم يستخدم معنا عدله الإلهي {ولم يجازنا حسب خطايانا؟!} فلنحسب خطايانا التي نرتكبها كل يوم، وربما كل ساعة، ويقابلها الله بصبر عظيم! ومع ذلك ها نحن نحيا، وطول أناة الله مازالت صابرة علينا، لكيما تقودنا إلى التوبة.

📖 فلنشكر الله إذن على احتماله العجيب.

📖 الناس لا يحتملوننا في القليل، وهم معرضون للخطأ مثلنا، والله الكلى القداسة والصلاح، والكلى العدل، يحتملنا في أمور خطيرة جدا، تتكرر منا كل يوم، ومع ذلك لا نشكر!

📖 بل نحن أنفسنا ربما لا نقدر أن نحتمل غيرنا، فيما هو أقل بكثير من الأمور التي نخطئ فيها إلى الله، ويحتملنا. بل ويحتمل الله جميع الخطايا، التي يخطئ بها جميع الناس، في جميع البلاد، في كل حين، في الماضي، والآن، وفي المستقبل.

📖 ولم يضرب العالم بضربات قاسية، مثلما فعل قبلا في الطوفان، وحرق سدوم. ومع ذلك لا نشكره!! ألا تركع حاليًا وتقول: {أشكرك يا رب لأنك احتملتني، ولا تزال تحتملني، وتحتمل عدم شكري}! حقا يا رب أنك طيب وحنون، وما أصدق قول داود النبي عنك: {يا رب، من مثلك؟! ليس لك شبيه بين الآلهة، ولا مثل أعمالك} {مز ٧١:

١٩}، {مز ٨٦: ٨}.

📖 جميل هو التأمل في معاملات الله، سواء لك أو لغيرك.

📖 وجميل هو التأمل في صفاته الجميلة. انك تتغنى بها فتشكره عليها. تشكره لأنه حنون، ولأنه طيب، ولأنه محب، ولأنه غفور، ولأنه طويل الأناة، ولأنه: {يعرف جبلتنا، يذكر أننا تراب نحن} {مز ١٠٣: ١٤} ويعاملنا هكذا.

{١٢}

أشكر على إحساناته ورعايته

📖 أشكره على إحساناته إليك، والى كل أحبائك، وأصحابك، وأقاربك، ومعارفك، والى باقي الناس. أشكره على إحساناته إلى الأسرة، والى الكنيسة، والى الوطن. إحساناته العامة، والخاصة.

📖 **أجلس بينك وبين نفسك، وأستعرض حياتك منذ ولدت:**

📖 كم مرة طلبت من الرب طلبا، فاستجاب لصلاتك، وأعطاك سؤل قلبك؟ كم ضيقة أنقذك منها؟ كم امتحانات أنجحك فيها، وكنت تشعر أنك غير مستعد لها؟ كم مرض شفاك منه، أو أنقذك من الإصابة به؟

📖 كم مشكلة حلها لك؟ كم قضية كانت نتيجتها في صالحك؟ كم خطية ارتكبتها ولم يسمح أن تنكشف للناس؟ كم باب رزق فتحه أمامك؟ كم عمل قمت به ووفقك فيه؟ كم مرة كان معك في خدمتك، وفي نشاطك؟ كم أعطاك نعمة في أعين الآخرين، كم عثرة أنقذك منها؟ وكم خطية كدت تقع فيها، وانتشلتك النعمة؟ كم وكم وكم؟؟؟

📖 **أتستطيع أن تحصى إحسانات الله إليك؟!**

📖 لست أظن هذا ممكنًا! فكم بالأكثر لو أضفت إليها إحساناته إلى

أحبائك، وإحساناته العامة التي شملتك، وشملت غيرك أيضًا. والخيرات التي أتتك حتى بدون صلاة/ وبدون طلب، وإنما من فرط نعمته، وافتقاده وحبه. كل ذلك ضعه أمامك، وقد عنه شكرا في كل تفاصيله. وبخاصة الأمور التي كانت معقدة جدا، ولم يكن أحد يستطيع حلها سوى الله، سجل كل هذا، حتى لا تنساه.

{١٣}
أشكره على الصحة

من منا يشكر الله لأنه يبصر؟ لكنه إذا مرضت عيناه، وبدأ يعالجها، ويبدأ حينئذ يشعر بنعمة البصر، التي لم يشكر عليها من قبل.

كذلك من من الناس يشكر الله على أنه يمشى حسنا على قدميه؟ ولكنه لا يذكر ذلك، إلا إذا حدث له كسر في رجله، واحتاج إلى عصا يتوكأ عليها. حينئذ يدرك أن مجرد المشي على قدميه كان أمرا يحتاج إلى شكر. حقا ما أصدق قول الحكيم: "الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء، لا يَحِس به إلا المرضى".

فنحن من عادتنا أننا لا نشعر بقيمة الشيء الذي عندنا، إلا إذا فقدناه. وهكذا لا نشكر الله على أن أجهزة جسدنا سليمة، إلا إذا اختل واحد منها. فلا أحد يشكر الله على معدة سليمة، تهضم الطعام جيدا. ولكنه إذا مرضت معدته، ونقص بعض من عصاراتها، أو أصيب بقرحة في المعدة، حينئذ يشكر الله على كل يوم تقوم فيه معدته بعملها الطبيعي، أو تعمل دون أن تتألم، أو بدون دواء؟

أشكر الله إذن على صحتك، لأن كثيرين يشتهون الحالة التي أنت فيها، ولا يجدونها.



🕮 **وكما تشكره على الصحة، أشكره أيضًا على المرض.**

🕮 ذلك لأن المرض ليس شرًّا في ذاته، لعازر المسكين كان مثقلا بالأمراض، وكانت الكلاب تلحس قروحه. لكن كل هذا لم يكن شرا في ذاته، ولم يفصله عن الله، بل بالعكس كان لفائدته.

🕮 فعندما اتكأ في أحضان إبراهيم، قدم عنه تقريرا أنه: {استوفى بلاياه على الأرض، لذلك هو يتعزى} {لو ١٦: ٢٥}. هكذا فلتشكر الله على المرض، لأنك قد تستوفى به البلايا، وتأخذ نصيب لعازر المسكين.

🕮 قال القديس باسيليوس الكبير: {انك لا تعرف ما هو المفيد لك: الصحة أم المرض}. القديس بولس الرسول، أعطى شوكة في الجسد، لمنفعته الروحية: لئلا يرتفع من فرط الإعلانات. وقد طلب من الله ثلاث مرات أن يفارقه هذا المرض {٢كو ١٢: ٨} ولكن الله لم يستجب صلاته، بل قال له: {تكفيك نعمتي}.

🕮 طبعًا نحن بضعفنا البشرى نطلب الصحة. ولكننا لا نعرف ما هو المفيد لنا. ربما يتعبني المرض على الأرض، ولكنه يساعدني على دخول الملكوت. هكذا إذا كان استغلالي له حسنا.

🕮 ومن الناحية الأخرى ما أكثر ما تكون القوة الجسدية ضارة لمن يستخدمها بطريقة خاطئة! المهم إذن هو الصحة الروحية.

🕮 حكى في بستان الرهبان عن أحد النبلاء الأثرياء، أن كانت له ابنة وحيدة مريضة، مشرفة على الموت. فطلب من أحد الآباء القديسين أن يصلى من أجلها، لكي تشفى. فحاول القديس أن يعتذر بكافة الطرق، ولكن الرجل ألح عليه. فصلى القديس وعاشت الفتاة، إلا أنها سلكت في سيرة شريرة، أضاعت كرامة أبيها، لدرجة أنه عاد إلى القديس مشتهيا أن تموت هذه الابنة الوحيدة!!

🕮 **عجيب أن كثيرين لا يذكرون في المرض سوى أوجاعه:**

📖 دون أن يذكروا بركات المرض وفوائده! بل أن البعض قد يصل إلى حالات من الضيق والتذمر، وقد يعاتب الرب ويقول، لماذا يا رب فعلت بي كل هذا؟ أما أنت فلا تكن هكذا. إنما في مرضك أشكر الله، على البركات التي حصلت عليها، نتيجة لهذا المرض:

📖 قل له: "أشكرك يا رب على هذا المرض، الذي أعطاني فرصة أعمق للصلاة، أو الذي أعطاني توبة، ومنحنى تواضعا، وانسحاق قلب، وشعورًا بضعفي. أشكرك يا رب على هذا المرض الذي جعلني أشعر بمحبة الناس، وسؤالهم عنى. أشكرك لأن المرض منحنى فترة خلوة قضيتها على الفراش، وكانت لازمة لي، على الأقل لأفحص نفسي، ولأنفرد بك".

📖 نشكر الله أيضًا، لأنه سترنا، وأعاننا، وحفظنا، وقبلنا إليه، وأشفق علينا، وعضدنا، وأتى بنا إلى هذه الساعة. هذا ما تعلمنا الكنيسة أن نشكر الله عليه، في صلاة الشكر، التي نرددها مرات في صلوات الساعات {في الأجبية} كل يوم. وكل كلمة من كلمات الشكر هذه، تحتاج إلى تأمل خاص.

{١٤}

المزيد من مجالات الشكر

📖 **أشكر الله أيضًا على الخير الذي تراه، والخير الذي لا تراه.**

📖 تشكره على الخير الذي تراه بالعيان، والخير الذي تراه بالإيمان. إن الله كما يدعونا أن نعمل خيرا في الخفاء، وهو يرى هذا الذي في الخفاء ويجازينا علانية {متى ٦: ٤، ٦}. كذلك هو أيضًا يعمل من أجلنا كثيرا من الخير في الخفاء، يجب أن نشكره عليه علانية.

📖 كثير من الخير الذي تتمتع به الآن، كان يعده لنا الله من سنوات طويلة، ونحن لا نعلم. وهو لا يزال يعد لنا خيرا، ستظهر نتائجه في

المستقبل، فنشكر عليها حينئذ. وهو يعمل خيرا من أجلنا الآن، وفي كل لحظة، ولكننا لا نبصر!

📖 بل كل عمل صالح نحن نعمله يد الله فيه، ولولا ذلك ما استطعنا أن نعمل شيئا صالحا على الإطلاق. أليس هو القائل: {بدوني لا تقدرون أن تعملوا شيئا} {يو ١٥: ٥}. هو إذن العامل فينا، والعامل معنا.

📖 هوذا القديس بولس الرسول يقول: {لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا، وأن تعملوا، من أجل المسرة} {فى ٢: ١٣}.

📖 إذن مجرد أن نريد شيئا يسر الله، هذا أمر يجب أن نشكر الله عليه، لأن هذه الإرادة الصالحة، التي لنا هي من عنده. وكوننا نعمل عملا صالحا، وهذا أيضًا من عنده. ويجب أن نشكره عليه.

📖 **يجب أن نشكر الله على النعمة العاملة فينا:**

📖 إن النعمة من الأمور الأساسية التي يجب أن نضعها في قائمة شكرنا لله. هوذا القديس بولس الرسول يقول: {ولكن بنعمة الله أنا ما أنا. ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبت أكثر من جميعهم، ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي} {١كو ١٥: ١٠}.

📖 ألا يستحق الله منا كل شكر على هذه النعمة العاملة فينا؟!

📖 **نشكره إذن على شركة الروح القدس في حياتنا.**

📖 هذه التي هي جزء من البركة الممنوحة لنا {٢كو ١٣: ١٤}.

📖 نشكره لأنه جعلنا هياكل لروحه القدوس، كما قال الرسول: {أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم} {١كو ٣: ١٦}.

📖 روح الله هذا الساكن فينا، هو الذي يبكتنا على خطية {يو ١٦: ٨}، وهو الذي يعلمنا كل شيء {يو ١٤: ٢٦}، ويرشدنا إلى جميع الحق {يو ١٦: ١٣}، وهو الذي يعطينا قوة في الخدمة، حتى نشهد لله في كل موضع {أع ١: ٨}. ألا نشكر كل حين على عمل الروح فينا.

فان عملنا في وقت ما عملا صالحًا، فلنشكر الله على ما عملنا، لأنه هو الذي عمله عن طريقنا. خطأ كبير هو، أننا بدلا من شكرنا لله، نفتخر، ونشكر أنفسنا، كما لو كنا بقوتنا، أو بتقوانا قد عملنا عملًا.

هذا الفخر هو الذي يمنع عمل النعمة فينا، حتى لا نصير أبرارًا في أعين أنفسنا {أي ٣٢: ١}. وهكذا نحزن الروح القدس. ليتنا إذن نذكر قول القديس بولس الرسول: "مَنْ أفتخر فليفتخر بالرب" {٢كو ١٠: ١٧}. لأنه هو الذي يمنح الإرادة، والقوة، والمعرفة، ولولاه ما كنا نستطيع أن نعمل شيئًا.

إن كان القديس يقول: {لا أنا، بل نعمة الله التي معي} {١كو ١٥: ١١} فماذا نقول نحن الضعفاء العاجزين. كل ما نستطيع أن نعمله هو أن نشكر الله، ونرجع الفضل إليه. وحينئذ يزداد عمل النعمة فينا، ويتكاثر الثمر جدًا.

{١٥}

أشكر لأجل الفداء العظيم

يوجد أمر عظيم جدًا، يتصاغر أمامه كثير من الأمور السابقة، ويحتاج إلى شكر طوال الليل والنهار.. وهو الخلاص العظيم الذي قدم لنا على الصليب، ولولاه لهلكنا جميعًا.

مَنْ مِنَّا يشكر سيدنا يسوع المسيح، لأنه صلب من أجلنا؟ لأنه تجسد وسكب دمه لأجلنا؟ إن حكم الموت الذي وقع على البشرية، ما كان ممكنا لأحد أن يخلص منه، بدون تجسد الابن، وصلبه، وموته.

لقد أنقذنا المسيح بموته. إذ مات عنا. فمن منا كل يوم، وكل ليلة، يذكر صليب المسيح، ويشكره، لأنه دفع الثمن نيابة عنا، وبدون هذا الثمن، ما كان ممكنا أن تنفع الأعمال الصالحة، ولا التوبة، ولا أي شيء آخر.



📖 مات المسيح عنا، وأصبحنا {متبررين مجانا بنعمته} {رو ٣: ٢٤}.

📖 أفلا نشكر إذن على الخلاص المجاني الذي نلناه؟ هذا الخلاص الذي لم نبذل فيه جهدا، والذي دبره الله هكذا، دون أن نطلبه!

📖 وما كنا مستحقين مطلقا: {ولكن الله بين محبته لنا، ونحن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا}. {مات في الوقت المعين لأجل الفجار} {رو ٥: ٨، ٩}. {البار لأجل الأثمة} {١بط ٣: ١٨}.

📖 أي حب أعظم من هذا، وأي بذل؟ أما ينبغي أن نضع هذا الخلاص أمامنا باستمرار، ونشكره عليه؟

📖 **الكنيسة تذكرنا بهذا الأمر في مناسبات متعددة، لكيلا ننساه.**

📖 في كل سنة تقيم لنا أسبوع الآلام، أسبوع البصخة، ويوم الجمعة العظيمة، بذكرياته العميقة المؤثرة، حتى لا ننسى صليب الرب، بل نذكر، ونشكر، فهل يكفى هذا التذكار السنوي؟

📖 كلا، لأننا ننسى. ماذا تعمل الكنيسة إذن؟

📖 جعلت كل يوم جمعة في الأسبوع صوما، لنتذكر فيه صليب المسيح، لأننا ننسى، وبالتالي لا نشكر علي. فهل يكفى هذا التذكار الأسبوعي؟ كلا. لذلك وضعت لنا الكنيسة صلاة الساعة السادسة من النهار، لكي نتذكر هذا الفداء العظيم، وتمتلئ قلوبنا شكرًا.

📖 **في كل يوم نشكر الله، لأنه أعطانا خلاصا هذا مقداره.**

📖 وهذا نوع من الشكر الجماعي، للكنيسة كلها، يردده جميع المؤمنين معا، إذ يقولون في الساعة السادسة من كل يوم: {بمشيئتك سررت أن تصعد على الصليب، لتنجى الذين خلقتهم من عبودية العدو. نصرخ إليك ونشكرك، لأنك ملأت الكل فرحا، لما أتيت لتعين العالم. يا رب المجد لك}.

📖 **نشكر الله أيضًا، لأنه أعطانا أن نعرفه**

📖 وهكـــذا يقـــول الأب الكـــاهن فـــي صـــلوات القـــداس الغريغوري: {أعطيتني علم معرفتك}. ويقول أيضًا: {أرسلت لي الناموس عونًا}. فهل نحن نشكره على هذه البشارة المفرحة في الإنجيل، وكل ما في الكتاب المقدس من فكرة عن الله وعمله، ومعاملاته مع الكل، وصفاته المقدسة؟

📖 وان كنا حينما تقرأ علينا في الكنيسة عظة لأحد القديسين، نرتل له لحنا نشكره فيه: {لأنه أضاء عيون قلوبنا بتعاليمه النافعة، فأي شكر نقدمه على هذه الذخيرة العظمى، التي تركها لنا آباؤنا القديسون، الأنبياء، والرسل، الذين تركوا لنا كل وصايا الله، وناموسه، ونبوءاته: {مسوقين من الروح القدس} {٢بط ١: ٢١}.

📖 **لقد عرفنا الله في كتابه، ورأيناه في ابنه.**

📖 {الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبر} {يو ١: ١٨} وبه قد عرفنا الآب. وهو نفسه قال للآب: {أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك، وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم} {يو ١٧: ٢٥، ٢٦}.

📖 **مبارك هو الله الذي أعطانا أن نعرفه ونعرف طرقه.**

📖 ونعرف وصاياه أيضًا، وتعاليمه، ونعرف أنبياءه، وقديسيه.

📖 نشكره على هذه المعرفة التي لا نستحقها. ونشكره لأنه أعطانا أن نعرف: {ما لا بُد أن يكون} {رؤ ١: ١}.

📖 وأعطانا فكرة عن سمائه، وملائكته، وملكوته. ونقلنا بهذه المعرفة إلى مستوى عال من فوق هذا المستوى الأرضي الذي نعيش فيه.

📖 **نشكره أيضًا من أجل وعوده لنا:**

📖 نشكره من أجل النعيم الأبدي الذي يعده لنا، في أورشليم السمائية، مسكن الله مع الناس، حيث يسكن معنا، ونكون له شعبًا {رؤ

٢١: ٢، ٣}. وهو قد وعدنا قائلا: {آتى أيضًا وآخذكم إلى، حتى حيث أكون أنا، تكونون أنت أيضًا} {يو ١٤: ٣}.

📖 ووعدنا أيضًا بما: "لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه} {١كو ٢: ٩}، وأن نجلس معه في عرشه، كما يجلس هو مع الآب في عرشه {رؤ ٣: ٢١} ووعدنا أن نأكل من المن المخفي، ونأكل من شجرة الحياة {رؤ ٢: ١٧، ٧}.

📖 **هذه وعود في الأبدية، ومعها وعوده لنا على الأرض:**

📖 نشكره على وعده أن يكون معنا كل الأيام، والى انقضاء الدهر {متى ٢٨: ٢٠}. وقوله لنا: {حيثما أجتمع اثنان، أو ثلاثة باسمي، فهناك أكون في وسطهم} {متى ١٨: ٢٠}. ونشكره على وعوده لنا بالحفظ، وقوله: {أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاه} {متى ١٠: ٣٠} وقوله لكل واحد منا: {هوذا على كفى نقشتك} {أش ٤٩: ١٦}

📖 **نشكره لأنه دعانا أبناء له وأحباء:**

📖 هكذا قال القديس يوحنا الحبيب: {أنظروا أية محبة أعطانا الآب، حتى ندعى أولاد الله} {١يو ٣: ١}. وعلمنا الرب أن نصلى قائلين: {أبانا الذي في السماوات} {متى ٦: ٩}، وقال لنا أيضًا: {لا أعود أسميكم عبيدا. لكنى قد سميتكم أحباء} {يو ١٥: ١٥}.

📖 بل سمانا أيضًا خاصته، وقيل عنه انه: {أحب خاصته الذين في العالم، أحبهم حتى المنتهى} {يو ١٣: ١}.

📖 وأعتبر علاقتنا به كعلاقة الغصن بالكرمة، وعلاقة الجسم بالرأس، وعلاقة العروس بعريسها. فقال: {أنا الكرمة وأنتم الأغصان. الذي يثبت في وأنا فيه، هذا يأتي بثمر كثير} {يو ١٥: ٥}.

📖 وقال القديس بولس الرسول عنه أنه: {رأس فوق كل شيء للكنيسة،

التي هي جسده} {أف ١: ٢٣}. وأيضا: {لأن الرجل رأس المرأة، كما أن المسيح أيضًا رأس للكنيسة} {أف ٥: ٢٣}. وقال أكثر من هذا: {لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه} {أف ٥: ٣٠}.

📖 وعندما ذكر أن الكنيسة هي عروس المسيح، قال: {إن هذا السر عظيم} {أف ٥: ٣٢}. ويوحنا المعمدان أيضًا قال عن المسيح والكنيسة: {من له العروس فهو العريس} {يو ٣: ٢٩}.

📖 نشكر الله أيضًا، أنه في ظل هذه العلاقة: جعل علاقته بنا، هي علاقة حب بلا خوف. وقال إن الوصية الأولى هي: {تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك} {متى ٢٢: ٢٧}. وقال القديس يوحنا الرسول: {في هذا هي المحبة: ليس أننا نحن أحببنا الله، بل أنه هو أحبنا، وأرسل ابنه كفارة عن خطايانا} {١يو ٤: ١٠}. وقال أيضًا: {الله محبة. من يثبت في المحبة، يثبت في الله، والله فيه}. {لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج} {١يو ٤: ١٦: ١٨}.

{١٦}

فضيلة الإيمان تتعلق بالشكر

📖 إن حياة الشكر مرتبطة بفضائل أخرى تسبقها، وتندمج معها.

📖 ومن أهم هذه الفضائل الإيمان. وأقصد بالذات الإيمان بالله في صفات معينة، بدونها لا يمكن الوصول إلى حياة الشكر، وفي مقدمة ذلك: الإيمان بالله كصانع للخيرات، ومحب للبشر.

📖 فهو يحبك كإنسان، أكثر مما تحب نفسك، ويهتم بك من كل ناحية أكثر من اهتمامك بنفسك، ولذلك هو يصنع معك خيرا باستمرار، ولابد كمحب للبشر أن يصنع معك خيرا، حتى دون أن تطلب، وهو

قادر أن يعطيك كل ما يلزمك، وما ينفعك، مهما كانت العقبات والعوائق. هو قادر على كل شيء.

📖 **وهو أيضًا ضابط للكل، يرقب كل ما يحدث.**

📖 ويحفظك من كل شر، يحفظ نفسك، يحفظ دخولك وخروجك {مز ١٢١}. فالحرية التي وهبها الله للناس، لا تعنى أنه تخلى عن إدارته للكون، وترك كل إنسان يفعل كما يريد بلا ضابط.

📖 إنما الله يعطى الحرية ويراقب، ويلاحظ كل شيء، ويدبر الأمور بحسب مشيئته الصالحة، ويغير ما يراه محتاجا إلى تغيير. ويوقف بعض الأمور، ولا يسمح بأمور أخرى، وكل هذا يحتاج إلى شكر.

📖 **هنا تشكر الله على تدبيره للكون، وحفظك من الأشرار.**

📖 ويزول منك الخوف، وتشعر بالاطمئنان إلى حماية الله. لأن الشر الذي تخشاه، إنما يأتيك من مصادر ثلاثة: أما من الناس الأشرار، وأما من الشياطين، وأما من نفسك، أي من حريتك الشخصية، التي تضر بها نفسك.

📖 والله كضابط للكل، يهيمن على كل هذه المصادر، وما أكثر ما أوقفها لأجل خلاصك، سواء كنت تدري، أو لا تدري. فالله لا يمنح الحرية المطلقة لأحد، وإلا هلك العالم! استمع إلى داود النبي يتغنَّى: {لولا أن الرب كان معنا، حين قام الناس علينا، لابتلعونا ونحن أحياء، عند سخط غضبهم علينا} {مز ١٢٤}.

📖 أشكر الرب إذن، لأنه يحميك من الناس الأشرار: {فلا يقع بك أحد ليؤذيك} {أع ١٨: ١٠}، وان أصابك سوء في يوم من الأيام، فثق أن ذلك لفائدتك، وسينتهي بخير، وتنال من ورائه بركة. لذلك أشكر الرب على كل ما يأتيك، حتى من الشر الذي سيخرج الرب منه خيرا. هذا من جهة الناس الأشرار. وأيضا.

📖 **حتى الشياطين ليسوا أحرارا حرية كاملة فيما يعملون.**

📖 إن الله لم يتركهم لهواهم، وإلا لأفسدوا وأهلكوا الأرض كلها!

📖 أمامنا مثل واضح في تجربة أيوب الصديق، وكيف أن الشيطان كانت حريته محدودة. اذ كان يقترح أمورا. والله يسمح له أو لا يسمح. ويضع له حدودا وقيودا معينة.

📖 وقال له أولا: {هوذا كل ماله في يدك. وإنما إليه لا تمد يدك} {أى ١: ١٢} وفي المرة الثانية سمح له أن يمد يده إلى جسد أيوب، دون عقله، ونفسه} {أى ٢: ٦}.

📖 **أشكر الله إذن، الذي قيد حرية الشيطان.**

📖 وهذا الأمر يمنحك السلام القلبي، فلا تخاف من الشياطين، ولا من أعوانهم من الناس الأشرار. والسلام وعدم الخوف نعمة أخرى تشكر الله عليها، وتقول في ثقة: {إن كان الله معنا، فمن علينا؟!} {رو ٨: ٣١}. وهكذا تعيش في اطمئنان دائم. وهذا الاطمئنان هو أيضًا نعمة، تحتاج إلى شكر.

📖 الإنسان المؤمن يعيش إذن في سلام، واطمئنان، وثقة بعمل الله، وعدم الخوف. وتتحول حياته بهذا الإيمان إلى شكر دائم.

📖 وهذا الإيمان الذي سبب له الشكر، هو أيضًا نعمة تحتاج إلى شكر.

📖 انه ينام في حضن الله مطمئنًا، شاكرًا عنايته، مهما كانت الظروف المحيطة به ضاغطة، وذلك لأنه ينظر باستمرار إلى عمل الله، وليس إلى الظروف الضاغطة. ويقول مع داود النبي، في ملء الإيمان: {إن سرت في وادي ظل الموت، لا أخاف شرا لأنك أنت معي} {مز ٢٣}.

📖 **قد تقف ضد هذا الإيمان رؤيتنا البشرية القاصرة.**

📖 تقف ضد الإيمان، وبالتالي لا تسمح بوجود الشكر، بل قد تسبب القلق، والاضطراب، والخوف، والشعور ببعد المعونة الإلهية!

📖 ولكن رؤيتنا البشرية قاصرة ومحدودة، لأنها تبصر فقط المشاكل الحالية، ولا تبصر الحلول المقبلة! تبصر الألم الحاضر، ولا تبصر فرح المستقبل. لذلك إذا عشت في المشكلة تتعب. أما إن عشت في الإيمان فسوف ترى حلولا كثيرة، فتفرح وتشكر الله.

📖 **هناك فرق كبير بين الإيمان والعيان.**

📖 العيان معناه أنك ترى الأشياء بعينيك، ولا تشكر إلا على الخير المحسوس، الذي تراه بعينيك. أما في الإيمان فإنك تشكر على الخير الذي لا تراه، ولكنك تؤمن أنه موجود، واثقًا بعمل الله.

📖 **الإيمان يرى ما لا تراه العين، وما لا تدركه الحواس.**

📖 انه يبصر عمل الله، ونعمته القادمة، ومعونته. ويرى عمل الله المقبل كأنه موجود الآن، ويفرح به، ويشكر عليه. يرى ما ليس كائنا كأنه كائن. ويبصر الله يقوده في مراع خضراء، ويحفظ دخوله وخروجه.

📖 الإيمان يقول مع الرسول: {كل الأشياء تعمل معا للخير، للذين يحبون الله} {رو ٨: ٢٨}. ليتكم تحفظون هذه الآية، وتضعونها أمامكم باستمرار، فتكون لكم ينبوعا للشكر. لاحظوا في هذه الآية عبارة {للذين يحبون الله} إن الذين يحبون الله، يشعرون بمحبته، ويصدقون مواعيده، لذلك هم يؤمنون بكل يقين، أن كل الأشياء تعمل معهم للخير، لأنها تحت ضبط الله محب البشر.

📖 لذلك هم يعيشون في فرح دائم، وفي شكر دائم، يتفقان مع محبتهم لله. الإيمان يصدق بالحب كل شيء {١كو ١٣: ٧}. انه يصدق أن الصخرة الصماء يمكن أن ينفجر منها الماء {خر ١٧: ٦}؟ ويصدق أن الله يمكنه أن يشق له طريقًا في البحر، يسير فيه آمنا {خر ١٤: ٣١}. ويؤمن كذلك أن الله ينزل له من السماء المن والسلوى ليأكل

{خر ١٦}. كذلك بالإيمان يرى الله معه في جب الأسود، ومعه في أتون النار {دا ٣، ٦}.



{١٧}
فضيلة الصبر تتعلق بالشكر

📖 **المسألة كلها مجرد عامل زمن، ما بين الإيمان والعيان.**

📖 فأنت تؤمن بما لا يرى بالحواس. وتعطى الله مدى زمنيا يريك فيه هذا الأمر بالعيان، بعد حين. وطوبى لمن آمن دون أن يرى {يو ٢٠: ٢٩}. بين الإيمان أنظر إلى المتاعب في ضوء تدخل الله الذي يحولها إلى خير.

📖 **ينبغي أن يكون الإنسان صبورًا وطويل الأناة ليرى عمل الله.**

📖 لأن هناك أعمالًا تبدو متعبة، ولكنها تتحول إلى خير في مدى زمني، قد يطول أحيانا، ويلزم الإنسان أن ينتظر الرب. والله لا بُد سيعمل، في الوقت المناسب الذي تحدده مشيئته الصالحة.

📖 ولنأخذ مِثالًا ما قد حدث ليوسف الصديق: لقد بيع كعبد. ومع أنه سكت على ذلك، وخدم كعبد بمنتهى الأمانة والإخلاص، ألا أن تهمة رديئة لفقتها له امرأة فوطيفار، وألقى بها إلى السجن.

📖 ومر وقت، بدا أن الله قد تركه، ولم يعمل على إنقاذه. ولكن الله في الوقت المناسب، حول هذه التجربة إلى الخير، وأخرجه من السجن ليكون الوزير الأول في مصر.

📖 إذن المسألة تحتاج إلى صبر، وأن ننتظر الرب، ونؤمن أنه قاد على أن يحول الشر إلى خير.

📖 **كذلك في قصة مردخاي وهامان.**

📖 لقد مر وقت طويل لقى فيه مردخاي اضطهادات من هامان، حتى

أنه أعد له صليبًا ضخمًا ليصلبه عليه، بل تمادى في ظلمه وكبريائه، حتى كاد يهلك الشعب كله. ولكن في الوقت المناسب تدخل الله لينقذ مردخاي، والشعب بأجمعه. والصليب الذي أعده هامان لمردخاي، صلب عليه هامان نفسه {اس ٧: ١٠}.

📖 **أنظروا أيضًا الاضطهادات التي أثارت دقلديانوس على الكنيسة.**

📖 كان حاكِمًا في منتهى القسوة، وقد سفك الكثير من دماء الشهداء. ولكن في الوقت المناسب تدخل الرب، وخلص شعبه منه دقلديانوس الذي انتهى نهاية رديئة. واصدر قسطنطين مرسوم ميلان سنة ٣١٣ م وسمح بالحرية الدينية. واستفادت المسيحية من الاضطهادات، عمقا في الروحيات، وثباتا في الإيمان.

📖 **لا توجد مشكلة تستمر إلى الأبد.**

📖 لا بُد أنها ستنتهي في يوم ما. والمسألة تحتاج إلى صبر، مؤسس على الإيمان، أنظروا مثلا إلى تجربة أيوب: كانت شديدة جدًا، وامتدت حتى شملت كل أمواله، وبنيه، وبناته، وصحبته، ونظرة أصدقائه، وزوجته إليه، واستمرت مدة، ثم انتهت إلى خير، والى أفضل.

📖 وهكذا قال معلمنا يعقوب الرسول: {ها نحن نطوب الصابرين. قد سمعتم بصبر أيوب، ورأيتم عاقبة الرب} {يع ٥: ١١}. {وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاده. وعاش أيوب بعد هذا مائة وأربعين سنة، ورأى بنيه، وبنى بنيه، إلى أربعة أجيال} {أي ٤٢: ١٢-١٦}.

📖 **واستفاد أيوب فوائد روحية من تجربته تستدعى الشكر.**

📖 كما استفاد خيرًا كثيرًا في دنياه. وكذلك في القصص السابقة ما أعظم الفوائد التي نالها مردخاي، والشعب، والتي نالها يوسف، وأخوته، والتي ما كان ممكنًا الحصول عليها إلا

بالتجربــة، والضـيقة. ولكـن بالإيمــان والصــبر، نــرى مقاصــد الله، ونحصل على الخير والبركة.

{١٨}
فضيلة الاتضاع تتعلق بالشكر

📖 لكي تستطيع أن تحيا حياة الشكر في عمقهـا، يلزمـك أن تحيـا حيـاة الاتضاع وانسحاق القلب. الإنسان المتضع يشعر أنه لا يستحق شيئًا.

📖 لذلك فهو يشكر على كل شيء. كل ما يعطى له من الله، مهمـا كـان قليلًا يشكر عليه، ويفرح به، شاعرا في عمق أعماقه أنه لا يستحقه.

📖 أما المتكبر، فانه على العكس ذلك، يظن في نفسه أنه يستحق أشـياء كثيرا، أكثر مما عنده، فيتذمر على ما هو فيه. إن نال منصـبًا كبيـرًا، ربما لا يشكر، لأن يعتقد في نفسه أنه أهل لمنصب أكبر وأكبر.

📖 وان مدحه البعض، ربما يظن أن هذا المديح أقـل مـن مسـتواه. أمـا المتضع فانه يخجل من أقل كلمة مديح يوصف بها، لأنه يعرف ذاته.

📖 المتضع لا يشعر فقط أنه لا يستحق شيئًا مـن الخيـر، بـل أكثـر مـن هذا، يرى أنه مستحق لعقوبات شديدة من الله وتأديبات عنيفة.

📖 لـذلك إن أصــابته البلايـا، فيقـول أنــا أسـتحق أكثـر مـن هـذا بسـبب خطايـاي. ويشـكر قـائلًا: إنهـا رحمـة مـن الله أن يعـاقبني بأقـل ممـا أستحق. وخير لي أن أُعاقَب هنـا علـى الأرض، أفضـل مـن العقوبـة الأبدية.

📖 **مثال ذلك:** لـو أن مجرمًـا أرتكـب جريمـة قتـل بشـعة، وحكـم عليـه القاضـي نظرًا لظروفـه النفسـية، بالأشـغال الشـاقة المؤبـدة. مثـل هـذا المجرم، وما أن يسمع الحكم عليه، حتى يرفـع صـوته بالشـكر، لأنـه في يقينه يرى أنه مستحق للإعدام، وقد عاملـه القاضــي بكـل رحمـة،

بل أنه يشد على يد محاميه بحرارة ويقول له: "أشكرك يا أستاذ على المجهود الكبير الذي بذلته من أجلى، حتى حكم على بالأشغال الشاقة المؤبدة. كانت رأسي على وشك الدخول في حبل المشنقة. ولكنك أنقذتني".

📖 **هكذا المتضع يرى باستمرار أن عقوباته أقل من استحقاقه.**

📖 كلما تأتيه الضيقة، أو مشقة، أو بلية، يقول: "أشكرك يا رب لأنك حنون جدا، وتعاملني بأقل من عقوبة خطاياي. يا لشفقتك العجيبة! حقًا يا رب إن يدك على، لا عصاك". يقول هذا من يعرف نفسه جيدًا، ومن يدرك ثقل خطاياه، وما تستحقه من العدل الإلهي.

📖 وقد يعترض البعض ويقول: ماذا لو أعطيت له عقوبة لا تحتمل؟!

📖 مثل مرض من الأمراض المؤلمة، التي لا تحتمل. كيف يشكر الله إذن، وهو في شدة الألم؟!

📖 نقول إن عذابات الأرض مهما كانت شديدة، إلا أنها محدودة ومؤقتة، وهى أفضل من العذاب الأبدي، في شدته، وديمومته. ومع ذلك حتى في مثل هذه الأمراض، يعطى الرب احتمالًا وصبرًا.

{١٩}

الهدف السليم يتعلق بالشكر

📖 كثيرًا ما تكون للبعض أهداف عالمية، أو مادية، يحزن إن لم يصل إليها، ولا يستطيع أن يصل إليها، ولا يستطيع أن يشكر الله في وسط تمسكه بهذه الأهداف.

📖 **أما الإنسان الروحي فله هدف واحد هو الله.**

📖 لذلك لا يبالى بالدنيا، إن أقبلت، أو أدبرت، ولا يهتم بكل ما فيها من

أغراض زائلة، ولا يحزن ان لم يحصل على ملاذها.

📖 وفي اكتفائه بالله، يشعر بسعادة كبيرة، يشكر الله عليها، وقد يكون محروما من أشياء كثيرة يتمتع بها غيره. ومع ذلك فهو راض وشاكر، وسعيد بحياته مع الله.

📖 **وهنا نقول: أن حياة الزهد توصل إلى حياة الشكر.**

📖 أو قل أن محبة الله التي تؤدى إلى هذا الزهد في الدنيا، هي التي توصل إلى حياة الشكر. وهكذا عاش آباؤنا الرهبان والنساك، ليس لهم من الدنيا شيء، ومع ذلك يعيشون في فرح وشكر.

📖 وبنفس الوضع، نرى القديس بولس الرسول يقول عن نفسه، وعن معاونيه في الخدمة: {كفقراء، ونحن نغني كثيرين. كأن لا شيء لنا، ونحن نملك كل شيء} {٢كو ٦: ١٠}. العالم يرانا كأن لا شيء لنا، ويرانا كفقراء، بينما نحن نملك كل شيء، لأن الله الذي معنا، هو كل شيء لنا، هو الكل في الكل. لذلك نبدو أمام الناس: {كحزانى، ونحن دائما فرحون}.

📖 **إذن حياة الشكر يلزمها قيم، ومقاييس روحية.**

📖 وبدون هذه القيم، والمقاييس الروحية، لا يستطيع إنسان أن يصل إلى الشكر الدائم الحقيقي، ولا إلى الفرح الكامل الروحي.

📖 إن وجدت نفسك لا تشكر، ارجع إلى مقاييسك لتصلحها. ربما فكرتك عن السعادة غير سليمة.

📖 هناك فضائل أخرى ترتبط بالشكر تحدثنا عنها.

📖 مثل الفرح، والسلام، والعزاء الداخلي وسط الضيقات، والعزاء الخارجي أيضًا، وما يتركه من قدوة. وحياة التسليم لله.



لماذا نشكر؟!

🕮 من الأسباب الهامة في عدم الشكر، أننا لا نعرف ما هو الخير لنا..

🕮 وقد تظن الأمر شرًا، فلا نشكر عليه، ويكون هو الخير بعينه، أو هو الوسيلة التي توصل الخير لنا، ونحن لا ندرى!

🕮 وسنحاول في هذا المجال أن نعرض أمثلة كثيرة من الكتاب، وبعضها من التاريخ، لإثبات هذه الحقيقة.

🕮 وصدقوني أن الله وحده بحكمته الواسعة التي لا تحد، هو وحده الذي يعلم ما هو الخير لنا أما حكمتنا نحن البشرية فلا تدرك، لأنها حكمة محدودة وقاصرة، ولأنها لا تبصر ما هو قدام.

🕮 **خذوا مِثالًا لذلك: سجن يوسف الصديق.**

🕮 مَنْ كان يظن أن إلقاء يوسف في السجن ظلمًا وهو بار، وبيعه كعبد قبل ذلك، كل ذلك سيؤول إلى خيره، وخير أخوته وأبيه، وخير مصر كلها والبلاد المحيطة! بينما لو أن أخوته لم يبيعوه، لظل راعيًا إلى جوار بيت أبيه، وما حدث له كل ذلك الخير!

🕮 وكذلك لو أن امرأة فوطيفار لم تتهمه ظلما، لبقى عبدا في بيت فوطيفار وليس أبا لفرعون.

🕮 ربما يوسف الصديق ما كان يشكر، حينما بيع كعبد، وحينما أتهم ظلما وألقى في السجن ولكنه بلا شك قد شكر أخيرا وعرف أن الله {قصد به خيرا. ليحيى شعبا كبيرا} {تك ٥٠: ٢٠}.

🕮 **مثال آخر هو هروب العذراء بطفلها إلى مصر.**

🕮 أكان هذا الهروب من سيف هيرودس، وبطشه، وظلمه، أمرًا يستحق الشكر؟! لا بُد أننا نشكر الله على ذلك من أعماقنا. لأنه بهذا الهروب تباركت أرض مصر، وصارت لنا مواضع مقدسة، وطأتها أقدام المسيح والعذراء، وصارت فيها كنائس فيما بعد.

🕮 نحن لا ندرى المستقبل ماذا يكون. ولكننا ندرى أمرًا واحدًا، وهو

أن المستقبل في يد الله.

📖 وإننا نشكر الله لأنه وضع المستقبل كله في يديه، يدبره بمشيئته الصالحة، ويصنع فيه خيرا لأولاده، لذلك نثق بكل ما يأتي لأنه من عند الله يأتي. من يد الله المملوءة حبا.

📖 حقًا إن القلب الكبير يفرح بكل شيء، ويشكر الله على كل شيء، ولا يتضايق أبدا من شيء، مهما كانت الأمور. ولعلكم تذكرون ما قلته لكم قبلا عن معنى الضيقة: "إن الضيقة سميت ضيقة، لأن القلب ضاق عن أن يتسع لها. أما القلب الواسع فلا يتضيق بشيء".

📖 عنده مصفاة الإيمان، يدخل فيها كل شيء ويعبر، وبالإيمان يرى يد الله في كل ما يقابله من أحداث، فيتعزى بعمل الرب، ويفرح ويشكر.

📖 **حديث القديس أوغسطينوس عن المبتدعين والهراطقة:**

📖 أولئك الذين حاربوا الإيمان بكل عنف، وسببوا متاعب كثيرة للكنيسة. يقول عنهم القديس أوغسطينوس: {إننا نشكر الهراطقة. لأنهم فيما قدموه من شكوك حول الكتاب، جعلونا نبحث في الكتاب أكثر، ونتعمق أكثر، ونكتشف كنوزًا ما كنا من قبل نعرفها}.

📖 **بنفس المنطق نتكلم عن الفلسفة الوثنية، التي قاومت المسيحية:**

📖 وبخاصة في أيامها الأولى. هذه المقاومة كانت بركة نشكر الله عليها. لأنه بسببها تأسست مدرسة الإسكندرية الأولى، بكل ما قدمت للعالم من معرفة روحية، وكتابته، وبكل ما قدمته من علوم اللاهوت، والفلسفة المسيحية التي خدمت الإيمان.

📖 ونحن نفتح قلوبنا لعمل الله شاكرين، إذ أنه يجعل كل الأمور تؤول لمجد اسمه. ونفرح بيده التي تمسك التاريخ. ونشكره.

📖 **مثال آخر: دماء الشهداء. أكانت خيرًا يُشْكَر عليه؟!**

📖 نعم، لأننا نقول أن دماء الشهداء، كانت بذار الإيمان. وبها أنتشر الإيمان أكثر، بما كان الناس يرونه من شجاعة، وما كانوا يسمعونه من كلماتهم العميقة الواثقة، وما كان يحدث أثناء استشهادهم من معجزات. وكذلك كيف كانوا يقابلون الموت بفرح عجيب، حتى أن أحدهم قبل السلاسل بفرح.

📖 القديس أغناطيوس الأنطاكي عاتب أهل رومه على محاولتهم إنقاذه من إلقائه إلى الأسود الجائعة! وأرسل لهم رسالة مشهورة قال لهم فيها: "يا أخوتي، أخشى أن محبتكم تسبب لي ضررا، وقد وصلت إلى نهاية المطاف، وأنتم تريدونني أن أركض شوط حياتي من جديد". وترك نفسه للأسود تفترسه في ثوان.

📖 وكان درسا عجيبا للأجيال، تذكره فتشكره، وظهر بعد استشهاده لزملائه في السجن يشجعهم ويقويهم. وهكذا كان استشهاده بركة.

📖 أترانا نبكي على من مات شهيدا؟! كلا. بل نفرح له لأنه نال الإكليل، ونشكر الله الذي أعانه. ونقول له تلك العبارة المعروفة في صلوات الجناز: "الله يعيننا كما أعانك".

📖 بنفس الوضع نتكلم عن المعترفين، والذين تشتتوا بالاضطهاد لأجل الإيمان. ونذكر ما قيل في سفر أعمال الرسل: {الذين تشتتوا، جالوا مبشرين بالكلمة} {أع ٨: ٤}.

📖 تشتتهم كان من الآلام التي أصابت الكنيسة، ولكنه في نفس الوقت كان بركة. لأنهم كانوا شعلات ملتهبة بالنار، لما انتقلت إلى بلاد أخرى من العالم، صيرتها لهيبا، وأنتشر الإيمان بتشتتهم. أليس هذا أمرا نشكر الله عليه.

📖 هناك أمر يكون خيرًا في ذاته. وأمر آخر يكون خيرًا في نتائجه، وعلى الأمرين نشكر. كلاهما للخير.

📖 لقد أستطاع أن يحول الاضطهاد إلى خير، ويحول التشتت إلى

كرازة وإيمان، وتأسست كنائس كثيرة في كل مكان. نشكره على ذلك، ونقدم التسليم الكامل لإرادته المقدسة المملوءة خيرًا.

{٢١}
النظر إلى قدام والشكر

📖 مشكلتنا في عدم الشكر، أننا لا ننظر إلى قدام.

📖 إنما ننظر إلى تحت أقدامنا فقط، إلى مجرد الواقع الذي نعيشه! دون النظر إلى بعيد، إلى سوف يحدث فيما بعد. ولا نلتفت مطلقًا إلى هدف الله من هذا الأمر الذي يتعبنا، أقصد هدفه المفرح لنا.

📖 **سوف أضرب لهذا مثالين:**

📖 ولادة إنسان أعمى: أكانت خيرًا نشكر عليه؟!

📖 حتى التلاميذ ظنوه عقوبة، فقالوا بجهل: {هل أخطأ هذا الإنسان، أم أبواه؟} متأثرين بأفكار خاطئة نقلت من العالم الوثني، عن طريق الرحلات. أما السيد المسيح فوضع أمامهم التدبير الإلهي، الذي يستحق كل شكر، فقال لهم: {لا أخطأ هذا، ولا أبواه. لكن لتظهر أعمال الله فيه} {يو ٩: ٣}.

📖 لولا ولادته أعمى، ما كانت تحدث هذه المعجزة العظيمة في حياته، وتكون نتائجها إيمانه بالرب، وسجوده له، ودفاعه عنه. وصارت له عينان روحيتان مفتوحتان تريان ما لا يرى. وهكذا دخل الرجل إلى التاريخ، وظهرت أعمال الله فيه، وكانت سببا لإيمان الكثيرين.

📖 وهذا أمر نشكر الله عليه.

📖 **ولكننا للأسف لا نشكر، إلا بعد أن نرى النتائج!**

📖 أما الإيمان، فيعطى الثقة بأنه لا بُد أن يكون هناك خير ما سواء رأيناه، أم لم نره. {وطوبى لمن آمن دون أن يرى} {يو ٢٠: ٢٩}.

📖 وطوبى لمن يرى بالإيمان ما لا يرى {عب ١١: ١}.

📖 **مثال آخر هو موت لعازر أخي مريم ومرثا:**

📖 أكان مرض لعازر وموته أمرًا يدعو إلى الشكر؟!

📖 واضح أن مريم بكت، واليهود الذين جاءوا معها بكوا أيضًا، وعاتبت الرب قائلة: {يا سيد، لو كنت ههنا لم يمت أخي} {يو ١١: ٣٢، ٣٣}. وبنفس العبارة عاتبته مرثا: {يو ١١: ٢١} ومع ذلك فان هذا كله كان: {لأجل مجد الله، ليتمجد ابن الله به} {يو ١١: ٤}.

📖 لو عرف الناس ما سيفعله الرب بعد موت لعازر، لشكروا على مرض لعازر وموته، ليظهر مجد الله.

📖 لأنه كم أنتشر الإيمان بإقامة لعازر بعد أربعة أيام من موته {يو ١١: ٤٥} وهذا أمر يدعو إلى الشكر بلا شك. ولكن الناس ما كانوا يشكرون لما مرض لعازر ومات!

📖 فلماذا؟ ذلك لأن رؤيتنا البشرية قاصرة. كل ما تستطيعه أنها تذهب إلى القبر، حيث دفنوا لعازر، وتقف خارج القبر تبكي!

📖 أما الإيمان فيمتد إلى أربعة أيام بعد هذا. فيرى لعازر خارِجًا من القبر ملفوفا بأقمطة! ويرى مجد الله، وإيمان الناس فيشكر.

📖 **مثال آخر، وهو مجاعة مصر أيام يوسف:**

📖 لا يوجد أحد يشكر على حدوث مجاعة!

📖 ومع ذلك كانت تلك المجاعة للخير. إذ أنها أظهرت بر وحكمة يوسف الصديق. وقدمت لنا أحلاما، ورؤى من الله، حتى لفرعون، وكانت تلك المجاعة خيرا وبركة، فبسببها التقى يوسف مع أبيه، ومع أخوته، وتصالح معهم، وعالهم في أرض جاسان. وكانت فرصة أن ينال ابناه بركة يعقوب أبيه.

📖 أليست كل هذه الأمور أسبابا نشكر الله عليها؟! أما عن المجاعة،

فقد دبر الله أمر علاجها، بأن سبقتها سبع سنوات من الشبع والخير، تم فيها تخزين ما يلزم لسنوات الجوع. وهذا أيضًا تدبير إلهي يستحق الشكر أيضًا. وكل الأمور تعمل معًا للخير.

📖 **فلنتأمل أيضًا الشكوك التي حامت حول البابا ديمتريوس الكرام.**

📖 أنه أمر يبدو سيئًا في ذاته. ولكن هذه الشكوك عينها، كانت السبب في إظهار قدسية هذا البابا العظيم، وأظهرت للناس بره، وعفته، وبتوليته. كما كانت مناسبة تدخلت فيها يد الله بمعجزة، وتعيد الكنيسة لذلك اليوم في السنكسار {١٢ بابة}. ولا شك أن الشعب كله شكر الله، كما شكره البابا ديمتريوس وزوجته، تحولت الشكوك إلى تمجيد، وتحول يوم الألم إلى يوم عيد.

📖 **نتحدث بهذه المناسبة عن متاعب داود النبي:**

📖 ما كان يظن أن متاعب داود النبي، سواء مع شاول، أو أبشالوم، أو غيرهما، ستؤول إلى هذه المزامير الجميلة العميقة، التي تعزينا جميعا ؟! ان داود في متاعبه، كان يغنى هذه المتاعب على العود والمزمار، وعلى العشرة أوتار، كان يخلط متاعبه بمزماره ومزاميره. وبدلا من أن يكسب نفسه حزنا، كان يكسبها لحناً.

📖 وقد ترك لنا هذا الكنز العظيم من أغانيه. ألسنا نشكر الله على كل هذا؟! وهو أيضًا في كل متاعبه كان يشكر ويقول: {أبارك الرب في كل وقت، وفي كل حين تسبحته في فمي} {مز ٣٤: ١}.

📖 {بالرب تفتخر نفسي. عظموا الرب معي. ولنرفع اسمه معا} {مز ٣٤: ٢، ٣}. ويقول أيضًا: {باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب، ولا تنسى كل إحساناته} {مز ١٠٣: ١، ٢} انه في كل متاعبه يسبح الرب بتسبيحه جديدة، ويغنى له أغنية شكر.

🕮 **درسان آخران من حياة موسى النبي:**

🕮 من كان يظن أن وضع الطفل موسى في سفط، وإلقاءه على حافة النهر، خوفا من قتله {خر ٢: ٣} كل ذلك يؤول إلى مجد، ويصير هذا الطفل ابنا بالتبني لابنة فرعون، ويتربى في قصر!

🕮 أليس هذا درسا في عناية الله، نشكره عليه.

🕮 ومن كان يظن أن هروب موسى إلى البرية خوفا من فرعون، سينتهي إلى تعلمه الرعاية، والهدوء في البرية. وأيضا سينتهي بعد فترة إلى أن يظهر الله له في البرية، في عليقة مشتعلة بالنار {خر ٣} ويدعوه لخدمته، ويصير نبيا من أعظم الأنبياء، وقائدًا لشعب.

🕮 **أمور تذكرنا بقول الكتاب: ونهاية أمر خير من بدايته {جا ٧: ٨}.**

🕮 فلا تزعجنا إذن البدايات الصعبة، ولننظر كيف ينهى الله الأمور. وسنجدها نهاية سعيدة نشكره عليها. ولعله من الأمثلة البارزة في الكتاب لهذه الأمور: مؤامرة هامان.

🕮 **درس من كبرياء هامان ومؤامرته:**

🕮 كان هامان متكبرًا، وتضايق من مردخاي، لأنه لم يخضع لكبريائه. وأعد مؤامرة يصلب بها مردخاي، وإبادة الشعب كله.

🕮 إنها بداية مزعجة، ولكن فلننتظر قليلًا لنرى كيف انتهت. لقد صام الشعب كله بقيادة أستير، وكانت فترة روحية تقرب فيها إلى الله. وتدخل الله في الأمر، وأنقذ الشعب كله. والصليب الذي أعده هامان ليصلب مردخاي عليه، صلب هو عليه. أما مردخاي فقد نال إكرامًا ما كان يتصوره {أش ٦، ٧}.

🕮 وهكذا تحولت الأمور إلى العكس تمامًا، من الصلب إلى المجد.

🕮 مبارك هو الرب في كل ما يفعله. مباركة هي يده التي تتدخل، وتدير دفة السفينة إلى المسار الذي يريده هو، بمشيئته الصالحة الطوباوية.

📖 **درس آخر من تجربة إسحق:**

📖 لا شك أنها كانت تجربة صعبة على أبينا إبراهيم، أن يقدم ابنه وحيده الذي تحبه نفسه، محرقة {تك ٢٢: ٢}. ولكنها كانت للخير، لأنها أظهرت طاعة إبراهيم، وأظهرت أيضًا إيمانه، لأنه: {بالإيمان قدم إبراهيم إسحق وهو مجرب. إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات} {عب ١١: ١٧، ١٩}.

📖 وهكذا ظهر بره، إذ بالأعمال في طاعته وتقديم ابنه {يع ٢: ٢١}. وأيضا: {آمن إبراهيم بالله فحسب له برًا} {يع ٢: ٢٣}. واستحق أبونا إبراهيم بهذه التجربة أن ينال البركة من الرب، له ولنسله، فقال له الرب: {أباركك وابارك نسلك. ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض} {تك ٢٢: ١٦-١٨} وأعطانا الرب في هذه التجربة مثالا رائعا للطاعة، والإيمان نشكره عليه.

📖 **كانت التجربة إذن بركة لإبراهيم ولنسله ولنا.**

📖 وكانت درسا ومثالا وقدوة لكل الأجيال على الأرض، سواء من جهة إبراهيم، أو من جهة ابنه إسحق، الذي صار رمزًا للسيد المسيح، الابن الوحيد للآب {يو ٣: ١٦}. الذي أطاع حتى الموت، موت الصليب {في ٢: ٨}.

📖 **مثال للشكر، هو سجن بولس الرسول:**

📖 أترى يشكر أحد على سجنه؟

📖 نعم. إن الإنسان المؤمن يشكر على كل شيء.

📖 لقد سيق بولس وسيلا إلى السجن، بعد أن ضربا بضربات كثيرة، والقيا في السجن الداخلي، وضبطت أرجلهما في المقطرة. ومع ذلك كانا يسبحان الله، والمسجونون يسمعونهما {أع ١٦: ٢٣-٢٥}.

📖 وكانا سجنهما بركة. أراد به الله إيمان سجان فيلبي. هذا الذي نال

في الحال نعمة العماد، هو والذين له أجمعون. وتهلل مع جميع بيته {أع ١٦: ٣٣، ٣٤}. أليست هذه أمورا نشكر الله عليها. كما أن القديس بولس الرسول، كثيرا ما وجد في السجن فترة هادئة، كتب فيها بعض رسائله وهو في السجن.

{٢٢}

عدم تذكرنا لإحسانات الله إلينا

📖 **من الأسباب التي تمنع الشكر، عدم تذكرنا لإحسانات الله إلينا.**

📖 سواء على المستوى العام، أو في الحياة الخاصة لكل منا.

📖 عيبنا أننا ننسى بسرعة، ولا نذكر. لذلك فان داود يذكر نفسه بهذه الأمور، ويقول في مزموره: {باركي يا نفسي الرب، وكل ما في باطني ليبارك اسمه القدوس. باركي يا نفسي الرب ولا تنسى كل حسناته} {مز ١٠٣: ١، ٢}.

📖 وظل يتذكرها واحدة فواحدة. أنصحكم بقراءة المزمور وحفظه، وليكن دافعا لكل منا أن يتذكر إحسانات الله إليه.

📖 في سنة ١٩٧٤ كان مرض الكوليرا منتشرًا، وكان يحصد بالآلاف. وأغلقت كثير من المدن، خوفا من انتقال العدوى. وكان الرعب حالا في البلاد. دخلت مرة في إحدى هذه المدن المغلقة بتصريح رسمي، بعد التطعيم ضد الكوليرا طبعا. فلم أسمع فيها أحدا يضحك ولا يبتسم. ولم يكن فيها صوت راديو، ولا أغاني.

📖 كانت المدينة حزينة مكتئبة. وكثيرون كانوا يصلون بعمق، وينذرون نذورا: {لو أنقذتني يا رب أصير وأصير. أفعل وأفعل} وأنقذنا الله من الكوليرا، وعشنا إلى الآن. فمن منا يشكر الله على هذا الإنقاذ. ومثله كل الإنقاذات الأخرى، من الأوبئة، والجفاف، وسائر الأمراض. ما أكثر الذين نسوا إحسانات الله، ونسوا معها وعودهم

ونذورهم!



📖 ليتنا نجلس كل يوم إلى أنفسنا، ونذكر إحسانات الله إلينا، وإلى أسراتنا، وأصدقائنا، ومعارفنا، ونحفظ ذلك في ذاكرتنا أو في مفكرة ونشكر الله. إن الشعب في البرية احتفظوا بجزء من المن، لكي يذكروا إحسان الله {خر ١٦: ٣٢-٣٤}. وأقاموا حجارة في الأردن ليذكروا شقة وعبوره {يش ٤: ٤-٨}. فيشكروا الله.

📖 **عندما ننسى إحسانات الله، يقل شكرنا، وتقل محبتنا.**

📖 وهذا طبيعي. لأنك كلما تذكر جميل أحد عليك، تحبه، وان نسيت، فانك تفقد سببًا يدفعك إلى الحب والشكر.

📖 كم موظف نسى أن الله ساعده في الحصول على وظيفة؟!

📖 وكم زوجة نسيت أن الله وفقها في الارتباط بزوج؟ وكم إنسان نسى أن الله ساعده في حل مشكلة، أو في الخروج من مأزق محرج؟

{٢٣}

أسباب تؤدي لعدم الشكر

📖 **أحيانا لا نشكر، لأننا ننسب الخير إلى غير الله:**

📖 ننسب الخير الذي نلناه إلى مقدراتنا الشخصية، أو إلى من ساعدنا من الناس! أو إلى الظروف المحيطة. وننسى في كل ذلك أن مقدراتنا هي أيضًا موهبة من الله، وأنها وحدها ما كانت تستطيع بدون معونة الله وتدخله. كما أن الذين ساعدونا، وهو الله الذي تكلم في قلوبهم من جهتنا. وكذلك فان الظروف المحيطة بنا، لا يمكن أن نفصلها عن التدبير الإلهي.

📖 **ونحن أحيانا لا نشكر، لأننا نذكر السيئات أكثر من الحسنات!**

📖 عندما نصفي حساباتنا، تختفي أمامنا النقط البيضاء التي تحتاج إلى شكر، وتقف أمامنا الضيقات، والمتاعب!

📖 أو نذكرها، ونبالغ فيها، فنتعب. هناك نوع من الناس للأسف الشديد، لا يفتكر إلا النقط السوداء في حياته. وهكذا ليس فقط يفقد الشكر، إنما أيضًا تضغط عليه الكآبة، ويملكه الحزن. انه نوع سوداوي. بعكس الذين يعيشون في فرح، ورجاء، يذكرون خير الله، ونعمته، وبركته، في كل وقت، ويشكرون.

📖 **وقد يكون عدم الشكر، سببه عدم القناعة.**

📖 إن القنوع دائمًا يشكر، مهما كان الذي معه قليلا. أما غير القنوع، أو المحب للكثرة، فانه مهما أعطاه الله، لا يكتفي، ولا يشكر! ولا يرضى عما هو فيه، باستمرار يريد أكثر، لذلك لا يشكر!

📖 **قد يتحول الطموح عند إنسان إلى طمع، فيفقده الشكر!**

📖 هناك خط رفيع يفصل بين هذه الأمور، يلزم الإنسان أن يعرفه، ويحتاط. قد ينجح طالب بامتياز، ويحصل على ٩٠٪ فيحزن لأنه كان يريد أن يحصل على ٩٥ % على الأقل، أو يكون الأول، أو من الخمسة الأوائل. المفروض أنه يفرح ويشكر، لأنه نجح وحصل على امتياز. ولا مانع من الطموح إلى أكثر. ولكن ليس على حساب الفرح والشكر.

📖 **وقد يفقد إنسان حياة الشكر، بسبب تعوده التذمر:**

📖 والتذمر قد يتحول عند البعض إلى مرض نفسي.

📖 فهو دائما يتذمر ويحتج ويشكو، مهما كان حاله! لا يعجبه شيء، ولا يرضى عن شيء. وبالتالي طبعًا لا يشكر. انه مرض روحي، ونفسي، واجتماعي، يحتاج إلى علاج.

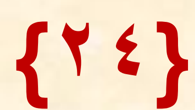
📖 بعكس ذلك الذي يتعود الشكر، حتى يصبح طبعا فيه. يشكر الله،

ويشكر الناس، ويشكر على كل شيء.

📖 **وقد يفقد إنسان الشكر، لأمراض روحية، ونفسية أخرى.**
📖 غير التذمر، وغير الطمع، ومحبة الكثرة، والنصيب الأكبر.
📖 أمراض مثل القلق، واليأس، والكآبة، والاضطراب، والخوف على المستقبل، والخوف عمومًا، وبعض العقد النفسية الأخرى، المصاب بمثل هذه الأمراض، من الصعب أن يشكر، انه باستمرار مهموم وحائر. وان دعوته إلى حياة الشكر، يقول لك في تعجب، وفي ضيق: {على أي شيء أشكر؟! أما يكفي ما أنا فيه؟!} مثل هذا الإنسان يحتاج إلى علاج.

📖 **إن عدم الشكر يتعب النفس. كما أن تعب النفس يبعد الشكر.**
📖 الإنسان الشاكر لا يحتاج إلى حبوب مهدئة، ومسكنة. سلامه القلبي يغنيه عن كل هذه. أما غير الشاكر، فان نفسيته باستمرار في تعب. وتعبه النفسي يبعده عن الشكر بالأكثر.

📖 **كثيرون لا يشكرون، لأنهم يكتفون بالفرح:**
📖 يأتيهم الخير، فيفرحون به. ويقفون عند هذا الحد، يفكرون فيمن أرسل الخير إليهم ليشكروه عليه! إنهم للأسف مركزون حول أنفسهم، وحول احتياجاتهم. يهمهم قضاء هذه الاحتياجات.
📖 أما من يقضيها لهم فلا يفكرون فيه! أليس في هذا نوع من الذاتية؟ أما أنت فلا تتمركز حول ذاتك. وإنما كلما يأتيك خير، أنظر إلى مصدر هذا الخير واشكره. لا تكن مثل العشرة البرص الذين فرحوا بالشفاء ولم يرجعوا ليشكروا {لو ١٧: ١٢-١٨}.
📖 لا تلتفت فقط إلى العطاء، دون أن تنظر إلى المعطى.



الرغبة الداخلية وتقييم الأمور

📖 من الأمور المهمة في شعور الإنسان بالخير وبالشر، وما يترتب على ذلك من شكر، أو تذمر، رغباتنا الداخلية، ونوع تقييمنا للأمور.

📖 كتب القديس يوحنا ذهبي الفم مقالًا جميلًا عنوانه: "لا يستطيع أحد أن يضر إنسانا، ما لم يضر هذا الإنسان نفسه" وفي الواقع بدون فهم هذا الموضوع، لا نستطيع التخلص من تأثير مضايقات الآخرين لنا، التي تفقدنا حياة الشكر، وتوقعنا في التعب النفسي.

📖 **حقًا، ما الذي يستطيع إنسان، أو حتى شيطان، أن يضرك به؟**

📖 إنك لو كنت إنسانًا بارًا قديسًا تحب الله، فلن يكون لك سوى هدف واحد فقط هو الالتصاق بالله. وهذا لا يستطيع إنسان أن يضرك فيه.

📖 وكما قال الرسول: {من سيفصلنا عن محبة المسيح: أشدة، أم ضيق، أم اضطهاد، أم جوع، أم عرى، أم خطر، أم سيف؟ فإني متيقن أنه لا موت، ولا حيوة، ولا ملائكة، ورؤساء، ولا قوات، ولا أمور حاضرة، ولا مستقبلة، ولا علو، ولا عمق، ولا خليقة أخرى، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع} {رو ٨: ٣٥-٣٩}.

📖 إذن إن جعلت هدفك في الحياة هو محبة الله، فلن يفصلك عن هذا الهدف شيء، وتعيش سعيدًا. أما إذا جعلت لنفسك أهدافًا ورغبات أخرى، أضفتها إلى الله. فهذه هي التي تضرك. قلبك من الداخل - المحب لهذه الرغبات - هو الذي يضرك، وليس الناس.

📖 قد يستطيع أحد أن يأخذ منك مالا. فإذا كنت لا تحب المال، ولا تهتم به في كثرته، أو قلته، فلن يصيبك ضرر.

📖 قد يستطيع أحد أن يزج بك في السجن. فان كنت لا تهتم إلا بحرية ضميرك، وفكرك، وروحك في علاقتك مع الله، ولا تهتم بالمكان الذي تعيش فيه، ولا بحالتك الأرضية، فعند ذلك سوف لا تشعر

بضرر. فبولس الرسول كان في أعماق السجن، وكان يرتل بفرح.

🕮 ماذا يصنع بك الناس؟ أيقتلونك؟ وهل هذا يضرك في شيء، إن كان هدفك هو الحياة مع المسيح، إن بولس الرسول يقول: {لي الحياة هي المسيح، والموت هو ربح. لي اشتهاء أن أنطلق، وأكون مع المسيح، فذاك أفضل جدًا} {فى ١: ٢١، ٢٣}.

🕮 إن الشهداء قد عذبوا وقتلوا. ولم يشعروا أنهم أصيبوا بضرر، بل على العكس نالوا الأكاليل. وكانوا يشكرون له في عذاباتهم، لأنها توصلهم إلى الله والى المجد.

🕮 **إن الضرر الوحيد الذي يحزنك هو الانفصال عن الله.**

🕮 وليس الضيقات، ولا المتاعب، التي قد تسبب لك أكاليل، إن احتملتها بشكر. ولهذا قال الرسول القديس: {لذلك أسر بالضعفات، والشتائم، والضرورات، والاضطهادات، والضيقات، لأجل المسيح} {٢كو ١٢: ١٠}.

{٢٥}

التمسك بالتفكير الخاص

🕮 من مشاكلك الكبرى في حياة الشكر، تمسك بتفكيرك الخاص، أكثر من التدبير الإلهي. إننا نريد أن ندبر أمورنا بفهمنا البشرى، بعقليتنا وطريقتنا الخاصة. وقد يكون لله تدبير آخر، لا نفهمه، فنتضايق، ولا نشكر! فمثلا إذا لم ننل طلباتنا قد نغضب. وأحيانا نرتفع درجة، فلا نغضب. ولكننا في نفس الوقت لا نشكر.

🕮 **لأن هناك فرقًا بين إنسان شاكِر، وإنسان آخر ساكِت ومُحْتَمِل.**

🕮 احتمالنا معناه أن هذا ضيق، ولكننا لا نتذمر عليه، وإنما نحتمله في

صبر. أما شكرنا فمعناه ثقتنا أن هذا الحادث هو خير، نشكر الله عليه. وهنا نكون قد انتقلنا من العيان إلى الإيمان. وأصبحنا بالإيمان نرى الخير في كل ما يعمله الله معنا، غير معتمدين على الأحكام البشرية، التي تحكم من الظاهر. وإذا كان الوحي الإلهي يقول: {من يعرف أن يعمل حسنا ولا يفعل، فذلك خطية له} {يع ٤: ١٧} فبالحري يعمل الله الخير، إذ باستطاعته أن يعمله.

📖 وبالضرورة لا بُد أن أؤمن بأن الله يصنع خيرًا معي، لأنه بطبيعته صانع للخيرات. وهو فعلا يصنع ذلك. إن كانت حالتي سيئة، فكان ممكنا أن تكون أسوأ، لولا أن نعمة الله تخلت عني. ولكن شكرا لله لأنه لم يتخل. وسوء حالتي غالبًا ما يرجع إلى أخطائي. فيجب أن ألوم نفسي، أما الله فإنني أشكره لأنه لم يغضب على بسبب هذه الأخطاء، ولابد سيعينني على الخروج منها. الله إذن يصنع معي خيرًا. ولكنني أنا الذي لا أصنع خيرًا مع نفسي.

📖 **يجب إذن أن أثق بحكمة الله وتدبيره.**

📖 ولا أعتمد على تفكيري البشرى، وفهمي القاصر، وفي كل ما يحدث لي، ينبغي أن أقول: "لا بُد أنه وراء هذا الأمر حكمة إلهية ستظهر لنا في حينها. وسواء كشف لنا الله حكمته أم لم يكشفها، فحكمته موجودة نشكره عليها". وطوبى لمن آمن دون أن يرى {يو ٢٠: ٢٩}.

📖 **هذا الإيمان بحكمة الله، يقودنا إلى حياة التسليم.**

📖 وحياة التسليم تتفق تماما مع حياة الشكر. وفى هذه الحياة أقول للرب: "أنا أشكرك يا رب، لأنك لو كنت ترى لي وضعا أفضل مما أنا فيه، لكنت قد نقلتني إليه. أو لو كنت أنا استحق أكثر من هذا، لكنت أعطيتني. ويقينا أنك تعطيني دوما فوق ما أستحق. يكفيني أنني أثق بحكمتك، وبمحبتك في تدبيرك لحياتي، وهذا يستحق الشكر.

{٢٦}

نسيان جزاء الخطايا ـ بركة الألم وأمجاده ـ التسليم بالخير

📖 أحيانا نحن لا نشكر، لأننا ننسى خطايانا، وما تستحقه من جزاء.

📖 ولو ذكرنا خطايانا، لكنا نشكر لأن الله: {لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا بحسب آثامنا} {مز ١٠٣}.

📖 بل حتى لو نلنا جزاء، لكان يجب أن نشكر أننا نتألم هنا على الأرض، بدلًا من أن ننال العذاب الأبدي في العالم الآخر {متى ٢٥: ٤٦}. مثل لعازر المسكين الذي استوفى بلاياه على الأرض {لو ١٦: ١٩}. ولو أدركنا ثقل خطايانا، لكنا نشكر حتى في الآلام المريرة، شاعرين أنها أقل بكثير مما نستحق. وأنها "أي الآلام" قد سمح الله بها لتقودنا إلى التوبة.

📖 ونحن قد لا نشكر، وبخاصة في الألم، لأننا لم ندرك بعد بركة الألم وأمجاده: إن الألم هبة تستحق الشكر. ولهذا قال الرسول: {قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضًا أن تتألموا لأجله} {في ١: ٢٩}. هو إذن هبة، وأيضا معه مجد.

📖 ولذلك قال الرسول: {إن كنا نتألم معه، فلكي نتمجد أيضًا معه} {رو ٨: ١٧} ومادام الألم طريقا للمجد، فهو للمجد، فهو يستحق الشكر. لذلك لم يمنع الله الألم عن أحبائه.

📖 إن بولس الرسول تعب أكثر من جميع الرسل في الكرازة والتعليم {١كو ١٥: ١٠}. ومع ذلك لاقى اضطهادات وآلاما، أكثر من الكل، شرحها في {٢ كو ١١}. وقال ضمن ذلك: {في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرارا كثيرة} {٢كو١١: ٢٣}.

📖 والرب لم يمنع عنه كل هذه الآلام، بل قال عندما أختاره لخدمة

الرسولية: {سأريه كم ينبغي أن يتألم لأجل اسمي} {أع ٩: ١٦}.

📖 وما نقوله عن بولس الرسول، نقوله أيضًا عن القديس أثناسيوس بطل الإيمان. الذي نفى عن كرسيه أربع مرات، ودبرت ضده تهم ومؤامرات، قيل له: {العالم كله ضدك يا أثناسيوس}. وسمح الله له بكل هذا، لأن في الألم مجدًا، وله أكاليل، وهو تعبير عن الحب.

📖 العذراء نفسها تحملت آلاما كثيرة، وهى أقدس إنسانة في الوجود.

📖 فان تحملت ألمًا من أجل الله، أشكره من أعماقك. لأنه قد حسبك أهلا أن تهان لأجل اسمه {أع ٥: ٤١}. أشكره لأنه أرشدك إلى الباب الضيق، الذي يؤدى إلى الملكوت، والى الحياة {متى ٧: ١٤}.

📖 أقول أخيرًا إننا أحيانًا لا نشكر، لأننا نحسب الخير الذي نحن فيه أمرا عاديا، لا يحتاج إلى شكر!

📖 خيرات كثيرة أنت فيها، ولا تشكر عليها، كالصحة، والستر، لأنك تحسبها أمورا عادية، ولكن المحرومين منها يشعرون بقيمتها. وان حصلوا عليها يشكرون من العمق.

📖 وأقول لكم كمثال: ربما أنت لا تشكرون الآن على النور أثناء محاضرتنا. ولكن إن أنقطع النور لأي سبب، حينئذ تدركون أنكم كنتم في نعمة لا تشعرون بها، ولذلك لم تشكروا عليها، إذ حسبتموها شيئًا عاديًا. ما أكثر الأمور العادية في حياتنا التي تحتاج إلى شكر.

كتاب حياة الشكر ـ صفحة ٢٠٦

{٩}
قديسون أخرون

📖 **قال شيخ:**

📖 حدث مرة إني كنت في موضع، حيث أتي يتامى ومساكين يسألون صدقة، فلما ناموا، كان بينهم واحد لا يقتني شيئاً يلبسه سوى حصيرة، نصفها فوقه ونصفها الأخر تحته، وكان وقتئذ برد شديد.

📖 فخرج بالليل يقضى حاجة الطبيعة، فسمعته من شدة البرد يعزى نفسه ويقول: "أشكرك يا رب، كم من أغنياء الآن في السجون يرزحون في أغلال حديدية، وآخرين وقد ربطت أرجلهم في الخشب، لا يستطيعون الخروج حتى لتبديد الماء. وها أنا مثل ملك أمد رجلي، حيثما شئت أذهب". فلما أنصت وسمعت كلامه هذا، دخلت إلى الأخوة وحدثتهم، فلما سمعوا تعجبوا وانتفعوا وسبحوا الله.

كتاب بستان الرهبان ـ صفحة ٢٦٣

